روایات عجیب

شرلوک هولمز

قتل شارع برکستون

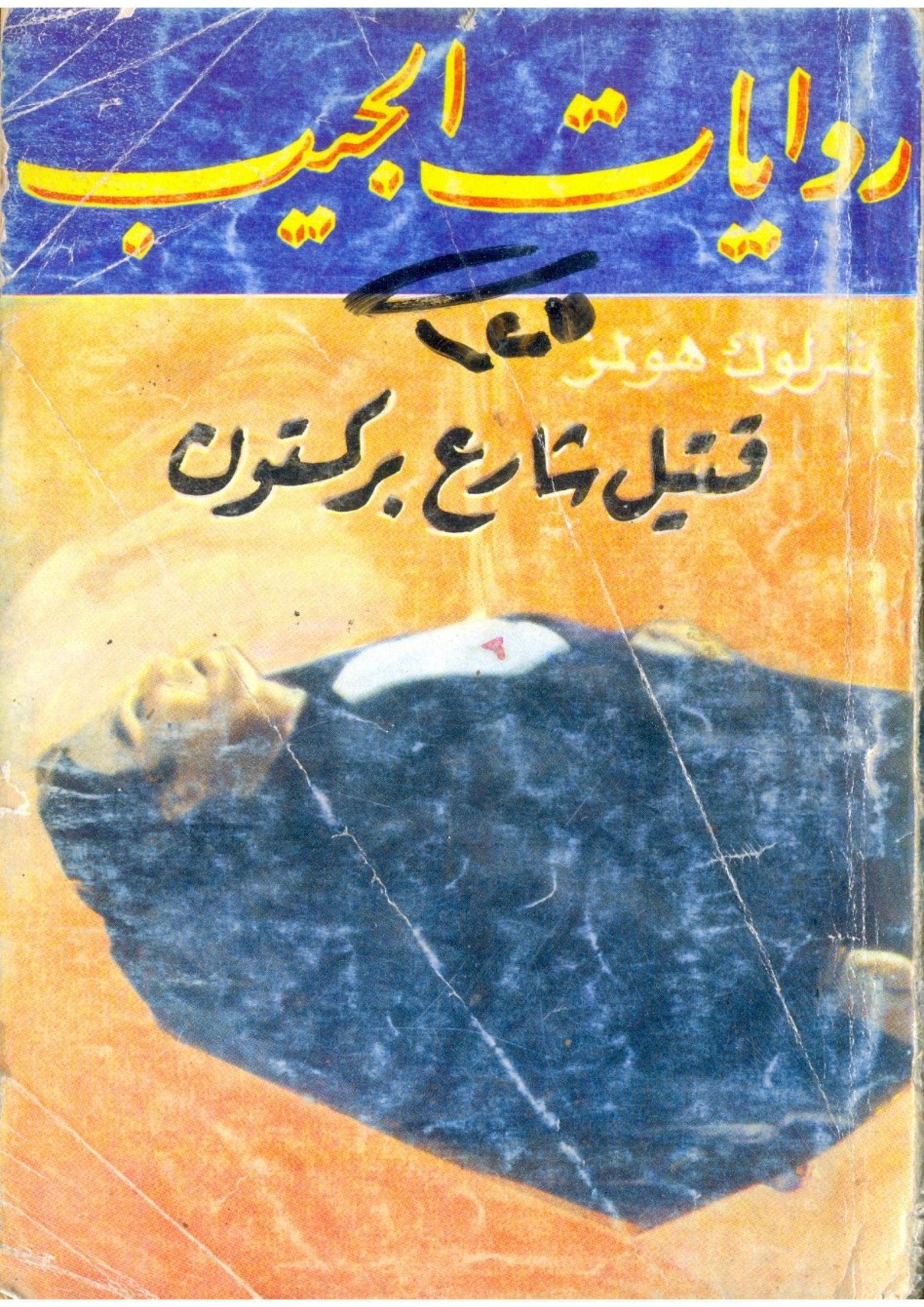

قتيل شارع برکستون

تاليف

السير « أرثر كـونان دويل »

بطـلها

شـــرلوك هـولمـــز

طبعـة ١٩٩١

١ ـ لقـاء شرلوك هولمـز

حصلت على بكالوريوس الطب عام ١٨٧٨ من جامعـة لندن وتوجهت الى نتلى للحصول على دبلوم فى الجراحة للعمل فى الجيش . ولما أنهيت دراستى هناك عينت بفرقة المشاة الخامسة كجراح مساعد وقد كانت الفرقة ترابط فى الهند فى ذلك الوقت وقبل أن ألتحق بها نشبت الحـرب الأفغانية الثانية . وقد علمت عند وصـولى بومبى أن جنود فرقتى قد تقدموا فى الممـرات وتوغلوا فى أراضى العدو وتبعتهم أنا وبعض الضباط الذين كانوا فى مـوقف مثل موقفى ونجحنا فى الوصول الى كنداهار بسلام حيث وجدنا فرقتنا وفى الحال تسلمت مهام وظيفتى الجديدة .

ولقد جلبت الحملة أكاليل المجـد والترقيات للكثيرين ولكنها بالنسبة لى لم تأت الا بالنكبات والمصائب . فقـد نقلت من فرقتى الى فرقة بير كشاير التى خدمت معهـا أثناء المعركة الرهيبة التى وقعت فى ميواند ، وأصبت فيها برصاصة هشمت عظام كتفى وقطعت شرايينى ولولا شجاعة واخلاص رئيسى يورى الذى ألقى بى على ظهر جـواده وطار بى الى مواقعنا لوقعت أسيرا فى أيدى الغزنويين ومن هناك نقلت مع عدد كبير من الجرحى الى المستشفى الرئيسى فى بشاور بعد أن كان الهزال قد بلغ بى حـدا كبيرا بسبب الآلام الشديدة والمتاعب والمشاق التى تحملتها. ومكثت مدة فى المستشفى حتى تحسنت حالتى قليـلا وأصبحت قادرا على التجول بين الأقسـام وكنت أحيـانا

أجلس فى الشرفة لأستمتع بالدفء الذى تبعثه أشعة الشمس فى جسمى الضعيف . ولكنى فجأة حلت على تلك اللعنة التى تصيب قومى فى ممتلكاتنا الهندية ألا وهى الحمى المعوية. ومرت شهور من اليأس من الشفاء ولكنى أخيرا بدأت أسترد شـــيئا من صحتى ولما دخلت دور النقاهة من ذلك المرض اللعين كان الضعف قد بلغ بى حداً كبيراً الى درجة أن الأطباء الذين أجروا على الكشف الطبى قرروا أنه يجب نقلى فورا الى انجلترا . وبعد شهر من أبحارنا رسـت بنا حاملة الجنود أورنتس فى ميناء بورتسماوت وكانت صحتى قد تدهورت تماما فمنحتنى الحكومة أجازة لمـدة تسعة أشهر على أمل أن أسترد بعدها صحتى التامة .

لم يكن لى قريب ولا صديق فى انجلتره ولذلك كنت مطلق الحرية بقدر ما يسمح به دخلى اليومى الذى بلغ احـدى عشر شلنا وستة بنسات وهو دخل لا بأس به لرجل بمفرده ولهذا قررت الاقامة فى تلك البالوعة التى ينتهى اليها كل العاطلين والمتشردين من انحـــاء الامبراطورية فى لندن ! فنزلت بعض الوقت فى فندق بشارع ستراند وكنت أحس بأن وجودى لا أهمية له ولا معنى ولذلك كنت أصرف الكثير من النقود بل أكثر مما ينبغى وأكثر مما يسمح به دخلى حتى ساءت أحوالى المالية وسرعان ماتأكدت اننى أمام أحد أمرين : فاما أن اترك المدينة واقيم فى اى مكان فى الريف ، او أن أضغط مصروفاتى وأغير من طـريقة حياتى لتتلاءم مع الحياة فى لندن . واستقر رأيى على اختيار الأمر الثانى ولهذا بدأت أفكر فى ترك الفندق الذى أنزل فيه وأقيم فى مكان آخر متواضع ونفقاته أقل .

وفى اليوم الذى أتخذت فيه هذا القرار كنت واقفا فى بار كريتيريون عند ما ربت أحدهم على كتفى ولما استدرت رأيت المستر ستامفورد الذى كان يعمل معى ممرضا عندما كنت فى بارتز ولم يكن حينذاك من أصدقائى المقربين ولكننى حييته بشوق بالغ ورد لى التحية بسرور عظيم فقد كانت فرحتى بلقياه كبيرة لأن رؤية وجه أعرفه شىء عظيم فى مجاهل لندن وخاصة وأنا رجل وحيد . وتبادلنا الحديث وفى غمرة فرحى بلقائه دعوته للغذاء معى وأخذنا عربة صغيرة الى مطعم هوليورن .

وبينما كانت العربة تسير فى شوارع لندن المزدحمة نظر الى ستامفورد بتعجب شديد وقال بصوت يكاد يطغى عليه صوت عجلات العربة .

— ماذا فعلت بنفسك ياوطسن ؟ فإننى أراك نحيلا جدا اسمر اللون .

وما أن قصصت عليه باختصار مغامراتى وما تعرضت له من أهوال حتى كانت العربة تقف بنا أمام المطعم . قال ستامفورد بعد أن أصغى الى قصصى :

— وماذا تنوى أن تفعل الآن ؟

— أبحث عن مكان أقيم فيه ولا أدرى أن كنت سأجد مسكنا مناسبا بايجار معقول .

فقال صاحبى بدهشة ..

— هذا شىء عجيب فانك ثانى رجل يقول نفس هذا الكلام فى يوم واحد .

فسألته :

- ومن كان أول رجل ؟

- شخص يشتغل فى معمل المستشفى . فقد كان متضايقا صباح اليوم لأنه لم يستطيع العثور على شخص يقيم معه فى شقة جميلة عثر عليها ويقاسمه النفقات لأنه لا يستطيع تحملها وحده !

فصحت فى صديقى :

- عظيم جدا .. أنه اذا كان حقيقة يريد من يقاسمه الغرفة والايجار فاننى مستعد لذلك فالأفضل أن يكون معى رفيق من أن أعيش بمفردى !

ونظر الى ستامفورد وهو يرفع الى فمه قدح النبيذ ثم قال :

- انك لم تتعرف بعد على شرلوك هولمز فربما لم يرق لك أن تتخذه رفيقا !

لماذا ؟ وما عيوبه ؟

- أنا لم أقل أن به عيوبا . ولكنه غريب الأفكار أحيانا . وهو مغرم ببعض فروع العلم ولكنه فيما أعتقد شخص مهذب .

فسألت ستامفورد :

- أظن أنه طالب طب ؟

- كلا .. وليست لدى فكرة ما عما ينوى أن يكون .. الا أنه ضليع فى علم التشريح كما أنه كيمائى ممتاز ولكنه فيما

أعلم لم يذهب الى أية كلية ولم يواظب على سماع محاضرات منتظمة فدراساته غير مبنية على قواعد وغير منتظمة ولكنه لديه معلومات هائلة تذهل الكثير من الأساتذه !!

فقلت لصاحبى :

ـ ألم تسأله ذات مرة عما تفيده هذه الدراسات ؟

ـ كلا فليس من السهل استدراجه الى الكلام . غير أنه يبادلك الحديث فى بعض الأحيان عندما يكون سارحا فى الخيال !

ـ كم أود أن ألتقى به ! واذا كنت أحب الاقامة مع احد فاننى أفضل أن يكون هادىء الطباع كثير الاطلاع . فاننى لم أسترد قواى بعد ولا أقوى على الضجيج أو الانارة . فقط تحملت منها الكثير فى أفغانستان بل لدى ما يكفينى بقية حياتى : قل لى كيف أستطيع مقابلة صديقك هذا ؟

فأجاب مستر ستامفورد .

ـ لا شك أنه فى المعمل فانه اما أن يغيب عنه أسابيع طويلة وأما ان يعمل به من الصباح حتى الليل . فان أردت ذهبنا اليه بعد الغذاء .

ـ طبعا سنذهب اليه .

ثم ذهب بنا الحديث الى مواضيع أخرى .

وبعد الغذاء غادرنا مطعم هولبورن واتجهنا الى المستشفى وفى الطريق زادنى ستامفورد بعض المعلومات القليلة عن الشخص الذى اقترحت أن أتخذه رفيقى فى السكن .

وأضاف ستامفورد قائلا :

— على أنك يجب أن لا تحملنى اللوم ان لم تنسجم معه. فأنا لا أعلم عنه أكثر مما قلت لك ومعلوماتى استقيتها من مقابلاتى القليلة له فى المعمل . ولا تنس أنك صاحب فكرة مقابلته والسكن معه فلا تحملنى مسئولية ما ينتج عن ذلك .

فأجبته :

— اذا لم أنسجم معه فسيكون من السهل أن تفترق ثم نظرت اليه نظرات عميقة وأضفت .

— ويبدو لى يا ستامفورد أن لديك من الأسباب ما يدفعك لأن تنفض يديك من الأمر . فهل طباعه لا تطاق ؟ أم ماذا به ؟ أرجو أن لا تعطينى الحقائق ناقصة أو مشوهة !

فأجاب ستامفورد ضاحكا :

— ليس من السهل شرح ما لا يمكن شرحه ! فان مزاج هولمز لا يوافق مزاجى بل اننى أشعر نحوه بشىء من البرود لأن لديه روحا للبحث وولعا بالعلوم مما يمكننى احتماله ، فمثلا يمكننى أن أتخيله يعطى صديقا له جرعة من الأملاح لا من أجل أن يصيبه بسوء بل من أجل أن يعرف على وجه الدقة تأثير هذه على الانسان . وانصافا له أقول أنه لا يتورع عن تعاطيها بنفسه لمجرد الاختبار .

ويبدو أنه شغوف جدا بتحرى الصواب وجمع المعلومات الدقيقة .

ـ أنه على حق فيما يجرى وراءه ٠

ـ أجل ، ولكن قد يتطور الأمر ويتعدى حـدود المعقول فيصبح عملا بربريا عند ما يمسك بعصا ويضرب بها الجثث فى المشرحة !

ـ يضرب الجثث فى المشرحة ! ؟

ـ نعم ، فلقد رأيته يفعل ذلك بعينى هاتين ليتحقق من مدى أثر هذا الضرب فى الشخص بعد الموت !

ـ ومع ذلك تقول أنه ليس طالبا بكلية الطب ! ؟ !

ـ لا ، أنه ليس طالبا ٠ والله وحده يعلم الهـدف وراء دراسته ولكن هذه هى الحقيقة وعليك أن تكون لنفسك عنه فكرة خاصة بك ٠

وأثناء حديثه انحدرنا الى شارع ضيق ثم دخلنا من باب جانبى صغير يؤدى الى أحد أجنحة المستشفى الكبير ٠ وقد كانت طرقاته معروفة لى فلم تكن بى حاجة الى من يقودنى عندما صعدنا السلم الحجرى الكئيب وسرنا فى الممر الطويل بجدارانه البيضاء ذات الأبواب الداكنة الى أن وصـلنا الى نهاية الممر حيث يتفرع منه ممر آخر سقفه مقوس منخفض وهذا هو الطريق الذى يؤدى الى معمل الكيمياء ٠

أما المعمل ذاته فهو عبارة عن غرفة فسيحة صفت فيها أو على أرفف بها زجاجات لا عدد لها ٠ وتنتشر فى الغرفة طاولات عريضة منخفضة رصت عليها أجهزة التقطير وأنابيب الاختبار ومصابيح صغيرة ذات لهب أزرق مرتعش ٠ ولم يكن

بالغرفة سوى طالب واحد كان منحنيا على طاولة بعيدة منهمكا فى عمله ولما سمع وقع أقدامنا نظر نحونا وصاح بفرح شديد : لقد وجدتها .. لقد وجدتها !وجرى نحونا وفى يده أنبوبة اختبار ونادى على صديقه قائلا :

- لقد اكتشفت مادة من رواسب الهيمو جلوبين ذات أهمية بالغـة .

وأشرق وجهه بفرحة لم تكن تظهر عليه حتى لو أنـه أكتشف منجما من الذهب ! وقدمنى مستر ستامفورد قائلا :

- الدكتور وطسن ، مستر شرلوك هولمز . فقال لى مرحبا وهو يمسك يدى بقبضة قوية مؤلمة :

- كيف حالك ؟ أرى أنك كنت فى أفغانستان !

وسـأله فى دهشة بالغة :

- وكيف استطعت أن تعرف ذلك ؟ !

فقال وكأنه يحدث نفسه .

- لا أهمية لهذا ! المهم الآن هو موضوع الهيموجلوبين انك بلا شك ترى أهمية اكتشافى هذا ؟ .

فقلت :

- ان له أهمية من الناحية الكيماوية أما الناحية العملية - فقاطعنى قائلا :

- أيها الرجـل ! انه أكبر اكتشاف عملى فى الطب منذ سنين ، أن نتائجه فى فحص بقع الدم لا تخطىء أبدا ؟

ثم جذبنى فى غمرة حماسة من يد معطفى وأخذنى الى الطاولة التى كان يعمل عليها وهو يقول :

ـ تعال هنا ودعنا نحصل على بعض الدم الجديد !

ثم غرس فى أصبعه ابرة كبيرة وامتص بها دمه ووضعه فى أنبوبة صغيرة وقال :

ـ الآن سأضيف نقطة من هذا الدم الى لتر ماء . انك تلاحظ أن المزيج الناتج لا يتعدى فى مظهره المـاء النقى . لأن نسبة الدم فيه لا تزيد عن واحد فى المليون ولكنى مع ذلك لا أشك فى اننا سوف نستطيع أن ندرك التفاعل الذى حصـل .

وبينما كان يتكلم ألقى فى الوعاء ببعض البللورات الصغيرة ثم أضاف بضع نقط من سائل شفاف . فأتخذ المزيج حالا لون خشب الجوز وترسب تراب بنى فى أسفل الأناء الزجاجى.

فنظر الى فرحا وكأنه طفل ينظر الى لعبة جديدة وضرب كفيه وقال :

ـ ماذا تقول فى هذا ؟

فقلت .

ـ أنها تجربة لطيفة !

ـ جميل ! جميل ! أن طريقة الفحص القديم لتحديد فصيلة الدم كانت بدائية ونتائجها غير أكيـــدة وكذلك الفحص الميكروسكوبى للكرات الدموية الذى تنعدم قيمته

اذا مضت على البقع ساعات قليلة . ولو أن اكتشافى كان قد عرف منذ مدة لكان مئات من الناس الذين يسيرون الآن فى الشوارع قد دفعوا جزاء ما أرتكبوا من جرائم !

فغمغمت قائلا :

ـ حقا ! حقا !

ـ ان القضايا الجنائية دائما معلقة على هذه النقطة فقد يتهم رجل بجريمة كان قد مضى على وقوعها شهور . وتفحص ملابسه وأدواته فتظهر عليها بقع بنية اللون فما هى هذه البقع ؟

هل هى بقع من الدماء ؟ أو بقع من الطين ؟ أو بقع من الصدأ أو لعلها بقع نتيجة سقوط فواكه على تلك الملابس! هذا هو السؤال الذى حير كثيرا من الخبراء ، لماذا ؟ لأنه لم تكن توجد اختبارات موثوق بها . أما الان فلدينا اختبار شرلوك هولمز ولن تقوم أمامنا بعد الان أية صعوبات لمعرفة الحقيقة !

ولمعت عيناه وهو يتكلم ووضع يده على قلبه وانحنى وكأنه أمام حشد من الناس جمعهم خياله لاستحسان ماقال!

فقلت وأنا مندهش لحماسه :

ـ يجب أن أهنئك .

فاستمر يقول :

ـ لقد كانت هناك قضية فون بسكوف فى فرانكفورت فى العام الماضى : فلو كان هذا الاكتشاف معروفا لكان

جزاؤه الشنق . ثم هناك ماسون من برادفورد ومولر السيء السمعة وليفافر من مونت بلييه وساسون من نيو أورليانز . ان فى استطاعتى ذكر عدد من القضايا التى لو كان اكتشافى معروفا ، لكان فيها حاسما .

فقال ستامفورد ضاحكا :

ـ يبدو أنك رزنامة جرائم تمشى على رجلين ! ويمكنك أن تؤلف كتابا فى هذه القصص تسمية « أخبار بوليسية من الماضى » .

ـ سيكون كتابا مثيرا وممتعا !

ثم ابتسم لى وهو يضع قطعة من الضماد على أصبعه وقال :

ـ يجب أن أكون حذرا فاننى ألعب كثيرا جداً بالسموم.

وبينما كان يتكلم رفع يده فلاحظت أنها تمتلىء بقطع الضماد كما تغير لونها من كثرة استعمال الحوامض المركزة. ثم جلس ستامفورد على كرسى صغير ودفع برجله واحدا ناحيتى لأجلس عليه .

وقال :

ـ لقد جئنا هنا لعمل . فان صاحبى يبحث عن مسكن وقد سمعتك تشكو من عدم وجود شخص يقاسمك المسكن والايجار ففكرت أن أجمعكما .

فظهر على وجه شرلوك هولمز أنه أبتهج لفكرة مشاركتى له فى مسكنه وقال :

ـ لقد عثرت على منزل فى شارع بيكر وأعتقـــد أنه مناسب · ولكن هل تضايقك رائحة التبغ ؟

فأجبته :

ـ اننى أدخن سجاير قوية !

ـ هذا عظيم · ثم اننى عادة أحتفـظ معى ببعض المواد الكيماوية وأقوم ببعض التجارب فهل يزعجك ذلك ؟

ـ أبدا !

ـ ثم دعنى أفكر ·· ماهى عيوبى الأخرى ؟ أشـعر بحالة نفسية سيئة بعض الأحيان ولا أفتح فمى مدة أيام · فيجب أن لا تظن اننى متضايق عندما أفعل ذلك بل دعنى وشأنى وسأعود لحالتى الطبيعية بسرعة ·

أما أنت فماذا لديك تحب أن تعـــترف به ؟ فان من الأفضل لأى اثنين أن يعرفا مساوىء بعضهما قبل أن يقيما معا فى بيت واحـد ·

ـ اننى أربى كلبا صغيرا واكرة الضوضاء لأن أعصابى محطمة وأحيانا أستيقظ فى أوقات غير مناسبة ثم اننى فى منتهى الكسل ! وعندى مجموعة أخرى من الرذائل عندما أكون بصحة جيدة :

ولكنى ذكرت لك عيوبى الأساسية فى الوقت الحاضر !

فسألنى باهتمام :

ـ هل تتضمن قائمة الضوضاء التى تزعجك العزف على الكمان ؟

فأجبته :

ـ ذلك يتوقف على العازف ، فان العزف الجيد تقدمة للالهة ، أما العزف النشاز ـ

فقال ضاحكا :

ـ حسنا ، أظن أنه يمكننا اعتبار الأمر منتهيا ، هـذا اذا كان المنزل يناسبك ٠

ـ متى نراه ؟

ـ تعال هنا غدا ظهرا وســـوف نذهب معا ونتفق على كل شيء ٠

فقلت وأنا أصافحه :

ـ حسنا ، الى الغد ٠

وتركناه يعمل بين مواده وسرنا الى الفندق الذى أقيم ؟

ووقفت فجأة والتفت الى ستامفورد وسألته :

ـ قل لى ٠٠ كيف عرف ذلك الشيطان اننى عائد من أفغانستان ؟

فابتسم رفيقى ابتسامة مبهمة وقال :

ـ هذه بعض غرائبه ٠٠ وكثير من الناس يودون لـــو يعرفوا كيف يكتشف الأمور ٠

فقلت وأنا أقلب يدى :

ـ هل هى معجزة ؟ أن هذا لشيء ممتع !! انى شاكر لك

أنك جمعتنا .. ان الموضـــوع الصحيح لدراسة الانسانية هو الانسان :

وقال لى ستامفورد وهو يودعنى .

- انك ستجده مشكلة معقدة وأراهن أنه يعـــرف عنك أكثر مما تعرف عنه ! الى اللقاء .

- الى اللقاء .

وسرت الى الفندق بخطى بطيئة وأنا أفكر فى هذا الرجل الذى تعرفت عليه منذ قليل .

٢ - الظاهرة الخـارقة !

وفى اليوم التالى تقابلنا حسب اتفاقنا وذهبنا لنرى المسكن الذى حدثنى عنه أمس وهو رقم ٢٢١ ب شـــارع بيكر ، وكان يتكون من غرفتى نوم مريحتين وغرفة واحدة متسعة للجلوس حسنة الأثاث بها نافذتان واسعتان وكانت تناسبنا من جميع الوجوه وايجارها بدا تافها اذا اقتسمناه.

وقبل أن نبـرح المكان كنا قد اتفقنـــا على كل شىء واستأجرنا المنزل ! وفى المساء نقلت متاعى من الفندق الى البيت الجديد ، أما شرلوك هولمز فقد انتقل اليه فى اليوم التالى حاملا معه عددا من الحقائب الجلدية والصـــناديق ومكثنا يوما وبعض يوم فى ترتيب متاعنا وحاجياتنـــا ووضعها فى الأمكنة المناسبة لها . وبعد ذلك بدأنا نستقر ونتعرف تدريجيا على ما يحيط بنا .

لم يكن هولمز رجلا تصعب الحياة معه ، فقد كان هادئا وعاداته ثابتة ومنتظمة فقد كان من النادر أن يسهر بعد العاشرة أما فى الصباح فكنت أصحو لأجده تناول فطوره وخـــرج ٠

وكان يقضى يومه أحيانا فى المعمل وأحيانا فى المشرحة وبين الحين والحين كان يسير على قدميه مسافات بعيدة وتقوده قدماه الى الأحياء الشعبية فى لندن ٠

وأما أثناء عمله فقد كان ذا حيوية وقدرة فائقتين ، ولكنه عندما كانت تصيبه نوبة من الكآبة كان يستلقى على الأريكه فى غرف الجلوس ويقضى على هذا الوضع من الصباح حتى المساء دون أن يتفوه بكلمة أو حتى يبدى أية حركة وقـــد تستمر معه هذه الحالة أياما ، وكنت فى أثناء ذلك لا أرى فى عينيه أى معنى فكان يبدو كأنه فى حلم ! ٠

ولولا أننى أعرف صفاته الحسنة وأخلاقه الحميـــدة لاتهمته بتعاطى المخدرات !

وزاد اهتمامى به بمرور الـــوقت ٠ كما زادت لهفتى وفضولى لمعرفة أهدافه فى هذه الحياة ! وكان مظهـــره وشخصيته يسترعيان انتباه أى انسان ٠

فقد كان يزيد طوله على ستة أقدام ولكنه كان نحيـلا جدا فكان يبدو أكثر طولا من ذلك بكثير ٠ وله عينـــان حادتان ثاقبتان عندما لا يكون فى حـــالة الذهول التى أشرت اليها ، وله أنف دقيق أشبه بمنقار الصقر ينم عن النباهة وعدم التردد أما ذقنه المرتفعة المربعة فانها تـدل على أنه رجل اذا صمم على شىء فانه لا يحيد عنه أبـدا

وله يدان بهما آثار بقع الحبر والمواد الكيماوية ولكننى عندما كنت أراه فى معملة وأراقبه وهو يتنـــاول أدواته أدواته الفلسفية الدقيقة كنت أرى يديه فى نهاية الـــرقة والحساسية .

واننى لأعترف للقارىء أن هذا الرجـــل قد زاد من فضولى وحبى للاستطلاع ! وكم من مرة حاولت أن أحمل هذا الرجل الذى يمسك لسانه عن كل ما يختص به ، على الكلام .

ولكن قبل أن يحـــكم على القارىء بالفضول وحشـــر نفسى فيما لا يعنينى أرجو أن يتذكر مبلغ تفاهة حياتى بالنسبة لى الآن ولهذا فلم يكن ليسترعى انتباهى شىء !

وكان سوء حالتى الصحية يمنعنى من المخاطرة بالخروج ولم يكنْ لى أصدقاء يزورننى فيغيرون من حياتى اليومية الرتيبة . فى ظل هذه الظروف رحبت بالرجل وشغلت نفسى بمحاولات مستمرة لكشف الغموض الذى يحيط به !.

لم يكن هولمز يدرس الطب فقد أكد لى عندما سألته ، رأى ستامفورد بهذا الخصوص ، ولا يبدو أنه أخذ دروسا منتظمة تؤهله لأية درجة علمية أو تدخله فى زمرة العلماء : ومع ذلك فقد كان حماسه لدراسة بعض المواضيع شـديدا وكانت معلوماته وفيرة ودقيقة لدرجة مدهشة ولا شك أنه لا يوجد شخص يعمل بهذا الجد ويعرف مثل هذه المعلومات الدقيقة مالم يكن له هدف معين يسعى اليه . والقـــراءة الســـريعة العابرة قلما تترك فى ذهن القارىء معلومات دقيقة اذ لا يوجد انسان يشغل ذهنه بأشياء بسيطة ما لـم يكن لديه الدافع القوى لذلك .

ولقد كان جهل هولمز واضحا كما كان علمه !!! فهو لايفقه شيئا فى الأدب المعاصر أو الفلسفة أو السياسة . فعندما ذكرت له اسم توماس كارليل تساءل بكل بساطة وسذاجة عمن يكون كارليل هذا وماذا صنع ؟!

على أن دهشتى بلغت الذروة عندما اكتشفت بطريق الصدفة أنه لا يعرف شيئا عن نظرية كوبر نيكس العالم الجغرافى : ويجهل أبسط المعلومات عن النظام الشمسى ! فان الشىء العجيب الذى لا أكاد أصدقه هو وجود انسان فى هذا القرن يجهل أن الأرض تدور حول الشمس !

ولما رأى مبلغ دهشتى لجهله ابتسم وقال :

ـ يبدو أنك دهشت لجهلى أن الأرض تدور حول الشمس! ولككننى وقد تعلمت الآن هذا سأحاول جهدى أن أنساه !

ـ تحاول أن تنساه ؟ !

فقال موضحا :

ـ اننى أعتبر عقل الانسان أشبه ما يكون بغرفة صغيرة فعليك أن تملأه بالأثاث الذى تختاره . والأحمق هو من يحشره بكل تافهة يمر بها لدرجة تتعذر معها على المعلومات المفيدة أن تجد مكانا وسط هذا الحشد من سقط المتاع أو على الأقل تختلط اختلاطا شديدا بحيث يصعب العثور عليها عند الحاجة . فالعامل الماهر مثلا حريص على ما يضع فى تلك الغرفة ـ عقله ، فلا يحتفظ فيها الا بالأدوات التى

تنفعه فى عمله وبما أنها متعددة الأنواع والأشكال فعلية أن يضعها بترتيب دقيق ! ومن الخطأ أن نظن أن جوانب هذه الغرفة مطاطة يمكن أن تتسع لأى مدى٠وثق أنه لابد أن يأتى الوقت الذى فيه تطير منك معلومات قديمة عند اضافة أية معلومات جديدة ! ولهذا فمن المهم جدا ان لاتتعلم الحقائق التى تفيد لئلا تطرد هذه الحقائق المفيدة !

فقلت !

ـ والنظام الشمسى ؟!

فقاطعنى قائلا :

ـ وماذا يهمنى من هذا النظام الشمسى ؟

فلو أن الأرض دارت حول القمر لما كان لذلك أى أثر بالنسبة لى أو بالنسبة لعملى !

وكنت على وشك أن أسأله عما يكون عمله ولكن ظهر لى ملامحه أن سؤالى لن يلاقى لديه قبولا أو استحسانا ٠

واستعدت فى ذهنى حديثنا القصير وفكرت فيه محاولة منى أن أصل لأى استنتاج ٠ لقد قال أنه لن يهتـــم بمعرفة ما لايتصل بهدفه ومعنى ذلك أن كل المعلومات التى يعرفها ذات فائدة كبرى له ٠ واحصيت لنفسى النقاط المختلفة التى ظهر لى من حديثه أنه تم بجمع المعلومات عنها حتى لقد أمسكت بالقلم وأخذت أعدها ولم أستطع الا أن اضحك على القائمة بعد أن انتهيت منها ٠٠ لقد كانت كالآتى :

كفاءات شرلوك هولمز

١ ـ معلوماته فى الأدب ـ صفر .

٢ ـ « « الفلسفة ـ صفر

٣ ـ « « الفلك ـ صفر .

٤ ـ « « السياسة ـ تافهة .

٥ ـ « « النبات ـ متنوعة ، يعرف كل شىء عن الأفيون والسموم . ولا يعرف شـــيئا عن الزراعة أو الحدائق .

٦ ـ معلوماته فى الجيولوجيا ـ عملية ولكنها محدودة فهو يستطع من نظرة ســـريعة التفرقة بين مختلف أنواع التربة . أنه كان يسير ساعات فى شوارع لنـدن ويعـود فيرينى بقع التراب أو الطين على ملابسه ومن لون هذه البقع أو محتوياتها يدلنى على الأمكنة التى مر بها !

٧ ـ معلوماته فى الكيمياء ـ عظيمة جدا .

٨ ـ معلوماته فى علم التشريح ـ دقيقة وان كانت لاتستند الى أساس منظم .

٩ ـ معلوماته فى أدب المغامرات ـ هائلة .

١٠ ـ يجيد العزف على الكمان .

١١ ـ ملاكم يجيد الدفاع بالعصا والمبارزة بالسيف .

١٢ ـ له اطلاع واسع على القانون الانجليزى وعندما وصلت الى هذا الحد فى القائمة بلغ بى اليأس فألقيت بها فى النار ٠

وقلت لنفسى : لو أننى أستطيع أن أعرف ما يهدف اليه هذا الشخص من جمع هذه المعلومات وأن اكتشف الدافع لذلك لما عاد اهتمام ولوفرت كل محاولاتى !

سبق لى أن أشرت الى اجادته العزف على الكمان ، ولكنه يعزف دون اطلاع على أصول الموسيقى وقواعدها ٠ ولكننى أعرف جيدا أنه يستطع عزف القطع الموسيقية صعبة الاداء فقد عزف لى مقطوعة لمندلسن ومقطوعات أخرى أحبها عندما طلبت منه ذلك أما اذا ترك وحده فكلما تسمعه يعزف ، ولا يفعل شيئا سوى الاسترخاء فى مقعده فى المساء ثم يغمض عينيه ويمر بأصابعه على أوتار الكمان التى يضعها على ركبته فتخرج منها أحيانا نغمات حزينة وأحيانا أنغام مرحة ومن الواضح أن تلك النغمات تعكس الافكار التى تجول بخاطره ولكن لا أستطيع أن أجزم ما اذا كانت تلك الانغام تساعده على التفكير أم أنها من نسيج الخيال والأوهام ؟ ولولا أنه كان يعزف بعد ذلك كل الالحان التى أفضلها ليعوضنى عن صبرى على الحانه ، لكان من الممكن أن أثور عليه من فرط غيظى وسخطى ! !

ولم يزرنا أحد فى الأسبوع الأول وبدأت أعتقد أن رفيقى مثلى لا أصدقاء له ٠ أما الآن فانى أعلم أن له معارف كثيرين

من طوائف شتى من المجتمع .. أحد هؤلاء رجل صغير الجسم شاحب اللون وجه كوجه الفار ، وقد قدمه لى باسم المستر ليسترايد وقد زاره ثلاث أو أربع مرات فى الاسبوع واحد . وزارتنا فى صباح أحد الأيام فتاة أنيقة الثياب وبقيت أكثر من نصف ساعة وفى مساء ذلك اليوم زاره رجل متقدم فى السن رث الثياب كأنه يهودى يعمل بائعا متجولا ويبدو عليه القلق وكان تتبعه امرأة . وذات مرة زاره رجل أشيب يبدو عليه الوقار وفى مرة أخرى رأيت أحد حمالى محطة السكة الحديد بزيه الرسمى .

وقد كان شرلوك هولمز يرجونى عندما يزوره أحد هؤلاء المجهولين أن يستعمل غرفة الجلوس فكنت أذهب الى غرفتى وكان يعتذر لى دائما عن هذا الطلب الثقيل قائلا :

- يجب أن استعمل هذه الغرفة فان هؤلاء الأشخاص من عملائى .

وفى كل مرة كانت لدى الفرصة ان أسأله عن طبيعة عمله ولكننى شديد الحساسية بحيث لا أريد ان أجبر أحدا على الافضاء باسراره لى واعتقدت حينئذ أن لديه من الأسباب القوية ما يمنعه من الاشارة لنوع عمله ولكنه سرعان ما نفى هذا الاعتقاد اذ تكلم فى الموضوع بمحض ارادته !

وفى الرابع من مارس ، ولن أنسى هذا التاريخ ...

استيقظت مبكرا على غير عادتى ولم يكن شرلوك هولمز قد فرغ من فطوره بعد . كما أن صاحبة البيت لم تكن قد

جهزت فطورى أو أعدت لى فنجان القهوة فثرت بدون وجه حق وضغطت على الجرس بغيظ ولما حضرت أشرت اليها باختصار أننى أريد الفطور ! وتناولت مجلة كانت على الطاولة بالقرب منى وحاولت قراءتها لأقطع الوقت وكان رفيقى يمضغ طعامه وهو صامت بينما أخذت أتصفحها . ورأيت علامة بالقلم الرصاص عند مقال معين وكان طبيعيا أن أقرأه .

كان العنوان يغرى على قراءة المقال الذى كان يحاول أن يريك كيف يمكن للشخص بدقة الملاحظة والنظرة الفاحصة الدقيقة لما يصادفه فى الحياة أن يتعلم ويستفيد الشىء الكثير ! وقد أدهشنى الموضوع بما به من خلط كبير بين الجد والسخف .

وكان تفكير الكاتب منطقيا ومعقولا ولكن استنتاجاته كانت فى اعتقادى مبالغا فيها وبعيدة الاحتمال . وادعى الكاتب أنه من الممكن سبرغور الانسان ومعرفة ما يدور ذهنه من تعبير ملامحه أو حركة سريعة تتحركها احدى عضلاته أو نظرة خاطفة ، وقال الكاتب أنه من المستحيل خداع الشخص الذى تدرب على تحليل حركات الآخرين وأن استنتاجاته لاتخطىء وكأنها آراء العالم السكندرى اقليدس. وقد يدهش الآخرون من تلك النتائج التى يصل اليها حتى أنهم ليعتبرونه محضرا للأرواح أو عرافا ولكنهم سيؤمنون بطريقته لو علموها .

واستمر الكاتب فى كلامه قائلا « ان الأنسان المنطقى اذا رأى نقطة ماء فانه يمكن أن يستدل منها على شلالات نياجرا أو على المحيط الأطلسى دون سابق علم أو رؤية لهما . فان الحياة سلسله متصلة من الحلقات » .. ويمكن أن نستدل من حلقة واحدة فى هذه السلسلة على الحياة كلها ! وعلم الاستنتاج والتحليل كباقى العلوم تلزمه الدراسة الكثيرة والصبر الطويل وحياة الانسان أقصر من أن تترك له فرصة الوصول الى الكمال فى هذا العلم ... وعلى طالبه قبل أن يحاول معرفة قواعده الذهنية والمعنوية أن يدرس المشاكل الأولية .

عليه مثلا عندما يقابل أى شخص أن يتعلم كيف يعرف من أول نظرة ماضية وعمله والمهنة التى ينتمى اليهـا .. وقد تبدو هذه الدراسة سخيفة وصبيانية ولكنها تصقل كفاءته وتهديه الى المكان أو الموضوع الذى يجب أن يهتم به ..

ويمكن جدا أن يكتشف الدارس مهنة أى انسان أو عمله من ملاحظة أظافره مثـــلا .. أو أكمام معطفـــه ، أو من حذائه أو بظهور ركبة لبنطلونه ، أنه بتحجر قطع من جلد سبابته وابهامه أو من هيئته أو حتى من طريقة صنع أسورة قميصه .. فاذا اجتمعت له كلها فلا يمكن له أن يخطىء فى معلوماته ! »

وهنا ألقيت بالمجلة وأنا أقول :

ـ يا للكلام الفارغ ! اننى لم أقرأ فى حياتى أتفه من هذا الانشاء !! فسألنى شرلوك هولمز :

- ما الخبر ؟

فقلت وأنا اتخذ مكانى الى المائدة مشـــيرا للمجـلة بالملعقة الصغيرة :

- ذلك المقال ! وأظن أنك قرأته لأنك تركت عـــلامة بالرصاص عليه . لا أنكر أنه كتابة انيقة .. كما أنه أثارنى وضايقنى ومن الواضح أنه كاتبه انسان خامل كسول وهذه الأوهام من وجهة نظره فقط .

أن كلامه غير عملى . وأتمنى لو احشر الكاتب فى عربة قطار بين ركاب الدرجة الثالثة وأسأله أن يخبرنى بالعمل الذى يقوم به كل راكب .. أننى أراهن أنه ســـيعجز عن معرفة الحقيقة .

فقال هولمز بهدوء :

- انك لو راهنته فانك الخاسر .. أما الموضوع فانا كاتبه!

- أنت ؟ !!

- نعم !! وعندى قوة ملاحظة وقدرة على الاســـتنتاج . والنظرية التى شرحها فى ذلك المقال التى تعتقد أنها أوهام انما هى فى الحقيقة عملية جدا وتطبيقها ممكن جدا .. ممكن لدرجة أن هذه النظريات هى وسيلتى للعيش !!

فوجدت نفسى أسأله :

- وكيف تكسب قوتك بها ؟

- أنى أقوم بعمل لا أعتقد أنه يوجد من يزاوله فى هـذه الدنيا غيرى ! أقدم استشارتى كمخبر ويوجد هنا فى لندن

كثير من البوليس والمخبرين الخصوصيين . وعندما يعجز هؤلاء وأولئك يأتون لاستشارتى لأدلهم على الطريق الصحيح وهم يضعون أمامى جميع الأدلة وبمقدرتى واطلاعى على سجلات الحوادث والجرائم أستطيع أن أهديهم الى الحقيقة . فإن الجرائم كالعائلة الواحدة فيها كثير من أوجه الشبه فاذا عرفت تفاصيل ألف جريمة فسيكون غريبا أن لا تكشف سر الجريمة الواحدة بعد الألف ! ان المستر لستريد بوليس سرى ذائع الصيت ولكنه أخيرا وقف حائرا أمام جريمة تزييف وهذا ماجعله يزورنى هنا .

- وهؤلاء الناس الآخرين ؟

- معظمهم ارسلته مكاتب خاصة للتحرى . ولكل واحد منهم مشكلة ما يطلب لها حلا فاستمع الى قصته ويستمع لارشاداتى ثم اقبض الأتعاب !

فقلت له :

ولكن هل تريد أن تقول لى أنك تستطيع وأنت جالس هنا فى غرفتك أن تحل الألغاز التى عجز الآخرون عن تفسيرها مع أنهم رأوا ووقفوا على كل التفاصيل ؟

- بالضبط اننى على بصيرة وأنا هنا ! ولكن فى بعض الأحيان تتعقد مشكلة فاضطر للخروج ورؤية الأماكن والأشياء بنفسى ، ولدى الكثير من المعلومات الخاصة التى تساعدنى على حل المشاكل بسهولة . رتلك القواعد فى علم الاستنتاج المذكورة فى ذلك المقال والتى أثارت احتقارك ذات قيمة لا تقدر بالنسبة لى ولعملى ، ودقة الملاحظة هى صفتى

الأولى . وقد بدا أنك دهشت عندما أخبرتك فى أول مقابلة لنا انك عائد من أفغانستان .

- لقد قيل لك ذلك دون شك !

- لقد عرفت ذلك دون أن يخبرنى أحد ؟ . وقد قلت لك ذلك بلا تردد لأن الأفكار تواردت فى ذهنى بسرعة لطول تعودى على ذلك فلم أتوقف لكى تتسلسل أفكارى ! أمامى رجل هيئته تتصل بالطب وتدل أيضا على أنه من الرجال العسكريين . فلا بد اذن أن يكون طبيبا بالجيش .. ولابد أنه وصل أخيرا من منطقة حارة لأن وجهه قد لفحته الشمس فبدأ أسمر بينما يداه ما تزالان على لونها الأصلى. ويبدو أنه تحمل المتاعب والمرض فشحوب وجهه يؤيد ذلك !! ذراعه اليسرى أصيبت فى حادث فهو يرفعها ويحركها بطريقة غير طبيعية . ففى اية منطقة حارة كان ضابط جيش انجليزى تحمل هذه المشاق وأصيب ذراعه بجرح ؟ طبعا فى أفغانستان !! دار كل هذا فى ذهنى بسرعة فقلت لك ساعتها انك قادم من أفغانستان فدهشت !

وقلت له باسما !

- المسألة فى منتهى السهولة كما توضحها ، انك تذكرنى بشخصية دوبن الخيالية روايات ادجار الأن بو ولم أكن اتصور أننى سألتقى فى الحياة بأشخاص مثلك !

فوقف شرلوك هولمز واشعل غليونه وقال :

- لاشك أنك تقصد أن تمتدحنى عندما تقارننى بدوبن ولكننى اعتقد اننى أعظم منه بكثير .. فان قراءته لأفكار

اصدقائه بعد فترة صمت تدوم ربع ساعة ، أمر فيه لباقه واستعراض وما من شك فى أنه كانت لديه بعض المقدرة على التحليل ولكنه لم يكن أبدا ظاهرة خارقة كما تخيله بو .

فسألته :

- هل قرأت كتاب جابوريو ؟

وما رأيك فى شخصية ليكوك ؟

فقال شرلوك هولمز متهكما غاضبا .

- لم يكن ليكوك سوى أفاق جم النشاط . ولقد ضايقنى كتاب جابوريو . فالمشكلة أمام ليكوك هى كيفية التعرف على سجين لم يره ؟ ولو كنت مكانه لأمكننى أن انتهى من ذلك فى أربع وعشرون ساعة ! فى حين أن ليكوك استغرق ستة شهور ! ان هذا الكتاب ينفع المخبرين فى أنه يعلمهم ما يجب أن يضربوا عنه صفحا !

فشعرت بالسخط لهذه الاهانات لشخصيتين كنت معجبا بهما كل الاعجاب . وسرت الى النافذة . ووقفت أنظر منها الى الشارع المزدحم ، وقلت لنفسى : قد يكون هذا الرجل حاد الذكاء ولكنه بدون شك ممتلىء غرورا .

قال هولمز شاكيا :

- لا توجد جرائم ولا مجرمون فى هذه الأيام ! فما فائدة الذكاء فى مهنتنا ؟ اننى أدرك تماما أننى قادر على أن أجعل اسمى مشهورا ويجرى على كل لسان . فلا يوجد

ولم يوجد أبدا أى انسان لديه من العلم والمواهب الطبيعية لكشف الجرائم ما لدى أنا .. ولكن ما الفـــائدة ؟ أين هى الجرائم لاكتشفها . ؟ قد توجد شرور وحوادث غير محبوكة ودوافعها واضحة ومكشوفة حتى ليسهل على أى رجل فى سكتلنديارد أن يراها !!

ولما كان حديثه هذا عن ثقة ، يزعجنى ، رأيت أن أغير الموضوع ونظرت الى الشارع فرأيت رجلا قـوى البنية على الرصيف ومعه مظروف كبير أزرق وهو يتفحص أرقـــام المنازل فأشرت اليه وسألت هولمز :

- عم يبحث ذلك الرجل ؟

فقال هولمز .

- تعنى ذلك الرجل ؟ أعتقد أنه شاويش متقاعد من مشاة الأســـطول .

فقلت فى نفسى : « أنه يفخـــر ويزهو بمعلوماته التى يعرف أننى لا أستطيع أن أؤكدها .

وما كدت أنتهى من أفكارى هذه حتى كان الرجل الذى تحدثنا عنه قد رأى رقم منزلنا فاتجه اليه وسمعنا طرقا على الباب وصوتا عميقا ينادى عند أسفل السلم ثم وقع خطوات ثقيلة تصعده !

قال الرجل وهو يدخل الغرفة ويسلم الجواب لصديقى .

- أنه للمستر شرلوك هولمز .

ووجدتها فرصة سانحة لأنتزع من صديقى غروره ولعله لم يفكر فى ذلك عندما أصدر حكمه على الرجـل وهو فى الشارع ، فقلت فى صوت هادىء ٠

ـ هل لى أن أسألك أيها الرجل عن مهنتك ما هى ؟
فأجاب بخشونة :

ـ أننى وكيل احدى الشركات يا سـيدى ، ولم أرتد الملابس الرسمية لأنها فى التصليح !

فسالته وأنا أنظر الى هولمز نظرة خبيثة ماكرة ٠

ـ وماذا كنت تعمل قبل ذلك ؟ !

ـ شاويش يا سيدى ٠ فى مشاة الأسطول يا سيدى ؟ هل من خدمة ؟ حسنا يا سيدى ٠

وضرب رجليه ورفع يده بالتحية وانصرف !

٣ ـ قتيل فى المنزل المهجور

لشد ما أدهشنى هذا الدليل الجديد على صحة نظريات صاحبى ٠٠ وقدرته على تطبيقها كان ان اعجـابى به بلغ حدا عظيما ٠٠ ولكن بعض الشك كان يتطرق الى ذهنى ٠ فقد يكون الأمر كله مرتبا ٠ قصد به السـيطرة على ٠ وان كنت لا أفهم السبب فى أن أكون أنا شخصيا الواقـع تحت تأثير تلك المعجزات !!

ونظرت اليه فاذا هو قد فرغ من قراءة الرسـالة وكانت عيناه ساهمتين قد ذهب بريقهما ٠

وبدا كأنه فى حلم !

وسـألته :

ـ وكيف استطعت أن تعرف ذلك ؟

فقال محتدا :

ـ أعرف ماذا ؟

ـ ان ذلك الرجل من مشاة الأسطول ؟

فأجاب بدون اكتراث ؟

ـ ليس هذا وقت الأمور التافهة البسيطة !

ثم عاد فابتسم وقال :

ـ انى آسف لهذه الخشونة ، فقد قطعت على حبـل أفكارى • ولكن ألم تكن تستطيع حقا أن تدرك أن الرجل كان من مشاة الأسطول ؟

ـ بالطبع لا !

ـ أنه لأسهل لدى أننى عرفت ذلك من أن أفسر كيف عرفته! فلو سئلت أن تثبت أن مجموع اثنين واثنين هـو اربعـة لوجدت صعوبة فى ذلك مع ادراكك التام بأن الجـواب صحيح •• على أننى استطعت ان أرى ، وهو فى الشارع ، الوشم الذى على ظهر يده وكان المرساة الزرقاء ! وهـذا

دليل على ان له صلة بالبحر .. ثم ان مشيته كانت عسكرية وشعره قصير فهو اذن جندى بحار . وكان يبدو عليه من طريقة امساكه بعصاه ورأسه المرفوع اعجابه بنفسه وحبه لالقاء الأوامر . وتقاطيع وجهه تدل على أنه متقدم فى السن ، محترم ، متزن . كل هذه المعلومات دلتنى على أنه شاويش .

فهتفت قائلا .

- شىء عجيب حقا ؟

وظننت أنه سر من اعجابى . ولكنه استمر قائلا :

- أبدا . أنه شىء عادى تافه . لقد قلت منذ قليل أنه لا يوجد فى هذه الأيام مجرمون ضالعون فى الاجرام . واظن أننى كنت مخطئا !!

اقرأ هذا !! وناولنى الرسالة التى أحضرها الرجل .

وألقيت نظرة عليها وصرخت :

- يا للهول ! هذا فظيع !!

فقال ببرود .

- هل تسمح أن تقرأها لى بصوت مرتفع ؟

وأخذت اقرأ الرسالة :

عزيزى مستر شرلوك هولمز .

لقد وقع حادث سيء ليلة أمس فى حديقة لورستون على طريق بريكستون . فقد رأى الغفير هناك نورا فى المنـزل رقم ٣ حوالى الساعة الثانية صباحا . ولما كان المنزل خاليا فقد اشتبه فى الأمر . ولما اتجه الى هناك وجـــد الباب مفتوحا ، واكتشف فى الغرفة المجاورة التى كانت خالية من الأثاث جثة رجل أنيق . وبتفتيشه عثر فى جيوبه على بطاقة باسم « ج . انوك دربر من كليفلاندبولايه أوهيو بالولايات المتحدة » ولم يترك القاتل شيئا ولم أستدل على الطريقة التى قتل بها الرجل فلم يكن به أية جروح وان وجدت فى الغرفة بعض بقع الدماء ولا أعرف لماذا أتى الى هنـــاك والحادث كله يحيطه الغموض . فاذا أمكنك الوصـــول للمكان قبل الساعة الثانية عشرة فستجدنى فى انتظارك ، ولن أمس شيئا حتى تراه على حاله . أما اذا لم تستطع الحضور فسوف أوافيك بكل التفاصيل وسيكون كرما ولطفا منك لو وافيتنى برأيك حول الحادث .

المخلص

طوبياس جرجسون

ولما انتهيت من قراءة الرسالة قال هولمز :

ـ ان طوبياس من أمهر أفراد بوليس سكتلنديارد وكذلك ليستريد فكلاهما سريع الخاطر ونشيط الا أن أساليبهمـــا قديمة لدرجة عجيبة ! كما أن كلا منهما يحسد الآخر ويكرهه فاذا قام كل منهما بتحقيق الحادث فسوف يرى أمورا كثيرة مثيرة !

فقلت له وأنا مأخوذ بهدوءه العجيب :

ـ أعتقد أنه من الواجب ان لا تضيع الوقت . فهل استأجر لك عربة ؟

ـ لم أقرر بعد ما اذا كنت سوف أذهب . فاننى أكون فى بعض الأحيان أكسل مخلوق يمشى على الأرض .

ـ ولكنها فرصة كنت تتمناها !

ـ وما فائدتها لى يا عزيزى ؟ فلنفرض أننى جلوت غموض الجريمة فما هى النتيجة ؟ لاشك أن جرجسون وليستريد وشركاءهما هم الذين يغتنمون لأن لهم وظائف رسمية فى الدولة !

ـ ولكن جرجسون يرجوك أن تساعده .

ـ نعم فهو يعلم أننى أتفوق عليه ويعترف لى بهذا التفوق . ولكنه سوف ينسب اكتشاف الحادث لنفسه . على أية حال لا بأس من أن نذهب لنلقى نظرة على مسرح الجريمة ، فسأحاول جلاء غموضها بنفسى فاذا لم أفرز من وراء ذلك الا بأن اهزأ برجال المباحث فهذا يكفينى ! هيا بنا !

وبدأ كأنه استعاد نشاطه وهو يسرع بارتداء معطفه ويقول !

ـ احضر قبعتك .

ـ هل تود أن أكون معك ؟

- نعم . هذا اذا لم يكن لديك ما تصنعه .

وبعد دقيقة واحدة كنا فى عربة أسرعت بنا نحو طريق بريكستون .

كان الوقت صباحا وقد انتشر الضباب والغيوم ، وبدأ لون المنازل داكنا كانما انعكس عليها لون طين الطريق .

وكان صاحبى فى أحسن حالاته . فاخذ يحدثنى عن بلدة كريمونا بايطاليا حيث تصنع أفضل أنواع الكمان ، ويشرح لى الفرق بين الانواع التى يصنعها أفراد مختصون هنا ذكر لى أسماءهم ! أما انا فلم أقل شيئا فقد شعرت بالكآبة بسبب سوء الجو وطبيعة العمل الذى كنا ذاهبين اليه ولكننى قطعت حديث شرلوك هولمز عن الكمان والموسيقى وسألته :

- يظهر انك لا تهتم كثيرا بالموضوع الذى أنت ذاهب لأجله .

فأجابنى :

- نحن لم نطلع على الأمر بعد ، ومن الخطأ أن أحكم على شىء قبل معرفته .

فقلت وأنا أشير له :

- ستطلع حالا .. هذه هى طريق بريكستون وأظن ان ذلك المكان هو المنزل الذى نقصده .

فقال هولمز :

- أنه هو فعلا .

وأمر السائق بالوقوف على بعد مائة ياردة من المكان ورأى أن نمشيها على ارجلنا .

وكان منظر المنزل يوحى بالرهبة والتشاؤم . وهو أحد منازل أربعة بعيدة فعلا عن الشارع العام ، اثنان منها فيهما سكان واثنان خاليان . وكل من هذين يتكون من ثلاث طوابق خالية مقبضة قد وضعت عليها لافتات كتب عليها « للايجار » وكانت توجد حديقة صغيرة بها بعض النباتات المتناثرة هنا وهناك تفصل بين الشوارع وكل من تلك المنازل، ويوجد بها طريق طويل ضيق أرضه من الطين والحصى يؤدى الى الباب .

وكان الوحل يملأ المكان لكثرة ما سقط من المطر فى الليل . ويحيط بالحديقة سور من الطوب يصل الى ارتفاع ثلاثة أقدام تقريبا وعليه سياج من الخشب وقد وقف بقربه شرطى اجتمع حوله عدد من المتسكعين ورقابهم مشرئبة وعيونهم مسمرة على المنزل فى شوق لمعرفة ما يدور بالداخل

واعتقدت أن شرلوك هولمز سيسرع الى المنزل ليطلع على آثار الجريمة فلم يأت لغرض آخر ولكنه بدلا من ذلك بدأ لى كأنما يتصرف بتصنع اذ أخذ يذرع المكان وبدون اكتراث وهو ينظر الى السور أو الممر أو المنازل المقابلة وأحيانا الى السماء !

ولما انتهى من فحصه ســـــار ببطء على الممر أو على الأصح فوق العشب الذى بجانبه وعيناه لا تحولان . وتوقف مرتين ولاحظته يبتسم مرة وسمعته يتفوه باصوات تـدل على الرضا ورأيت آثار خطوات كثيرة على الأرض الموحلة ولكنى لا أظن أن صاحبى سيستدل منها على شيء لكثـرة ما سار رجال الشرطة هناك ، ومع ذلك كنت متأكـــدا من قدرته الخارقة على ملاحظة الكثير مما لا أستطيع رؤيته .

قابلنا عند الباب شخص طويل أبيض اللون فى يده دفتر صغير هرع الى صديقى يصافحه بحرارة وقال :

ـ كان لطيفا منك أن تأتى وقـــد تركت كل شيء على ما كان عليه .

فأشار صاحبى الى الممر وقال :

ـ ما عدا ذلك الطريق ! فكأنما سار فيه قطيـــــع من الجوامس ! ولكنك دون شك قد فحصت المكان قبل أن تسمح بوقوع ذلك يا مستر جرجسون .

فقال الباحث محاولا الاعتذار .

ـ كنت مشغولا بالعمل فى داخل المنزل وتركت لزميلى المستر ليسترايد أن يهتم بهذا المكان .

فرفع هولمز حاجبيه متهكما وقال :

ـ أن وجودك أنت وليسترايد هنا لا يترك مكانا لشخص ثالث أن يفعل شيئا .

وبدا على جرجسون ما يدل على الرضى وأجاب :

- أعتقد أننا أنتهينا من الفحص . انها مشكلة غريبة وانا اعرف انك تحب مثل هذا النوع .

فساله شرلوك هولمز :

- هل أتيت هنا فى عربة ؟

- كلا ياسيدى .

- ولا ليستريد ؟

- كلا .

- اذن دعنا نرى الغرفة :

ودخل هولمز البيت يتبعه جرجسون والدهشة بادية عليه. سرنا فى ممر قصير أرضه خشبية كساها التراب قادنا الى المطبخ والمكتب . وكان به بابان واحد الى اليمين وآخر الى اليسار واظن أن واحدا من هذين البابين لم يفتح من عدة أسابيع ، أما الآخر فانه يؤدى الى غرفة الطعام ، حيث وقعت الجريمة .

ودخل هولمز الغرفة وتبعته وانا احاول أن اغالب ذلك الشعور الغامض الذى تبعثه رؤية الموتى .

كانت الغرفة مربعة واسعة وبسبب خلوها من الأثاث بدت أكثر اتساعا . أما الجدران فكان مغطاة بورق صارخ اللون أصاب التلف بعض أجزائه وتمزقت أجزاء أخرى وتدلت الى

الأرض فظهر مكانها لون الحائط الأصفر . وفى مقابل الباب توجد مدفأة جميلة الشكل يقوم عليها رف من الرخام الابيض وعلى أحد أطرافه بقايا شمعة حمراء والشباك الوحيد فى الغرفة لم يسمح بدخول النور الكافى فكانت الاشياء غير واضحة ، خاصة وأن طبقة من التراب تغطى جوانب الغرفة . ولم أكن لألاحظ هذه الأشياء الا فيما بعد ، لأن كل اهتمامى كان متركزا فى الجسد الساكن الملقى على الأرض بعينين جاحظتين تحملقان فى السقف البالى .

كانت الجثة لرجل فى الثالثة والأربعين من العمر متوسط الجسم عريض المنكبين ، شعره أسود مجعد وله لحية صغيرة . وكان يرتدى معطفا طويلا من قماش ثقيل وبنطلونا فاتح اللون . أردان قميصه وياقته نظيفة جدا . وتوجد قبعة ملقاة على الأرض بجانبه وكانت يداه مقبضتان وزراعاه متباعدتان بينما رجلاه متشابكتان كأنما كان صراعه مع الموت رهيبا !

وعلى وجهه ملامح الرعب وأن كنت أعتقد انها دلائل كراهية لم أر مثلها على وجه مخلوق ! فهذه التجاعيد الواضحة الحاقدة وهذه الجبهة الضيقة والأنف الكبير والفك البارز جعل للجثة منظرا وحشيا فظيعا زاده بشاعة تلويه من الألم ووضعه الذى مات عليه .

لقد سبق لى أن رأيت أشكالا شتى من الموتى ولكننى لم اره بمثل هذه الفظاعة التى رايتها هنا فى هـــذه الغرفة المقبضة التى تطل على الشوارع الرئيسية الى لندن ٠

وكان ليستريد يقف بجانب الباب متحفزا كعادته وحيانا انا وهولمز وقال :

ـ ستثير هذه الجريمة ضجة ٠ أنها أفظع ما رأيت !

وسأله جريجسون ؟

ـ هل عثرت على شىء ؟

فدمدم ليستريد وقال : ـ

ـ أبدا ٠٠٠

واقترب شرلوك هولمز من الجثة وجثى بجانبها يتفحصها وقال وهو يشير الى بقع الدم المتناثرة حول الجثة :

ـ هل أنتما متأكدان من عدم وجود جروح بالجثة ؟؟

فرد الاثنان معا :

ـ كل التأكد ٠

ـ اذن فهذه دماء شخص آخر ، ربما كانت دماء القاتل، اذا كانت هناك جريمة قتل ! وظروف هذه الحادثة تذكرنى

بالظروف المحيطة بموت فان جانتسن فى أترخث عـــام ١٩٣٤ . هل تذكر الحادثة ياجرجسون ؟

- كلا يا سيدى ..

- اذن فينبغى أن تطلع عليها . فلا جديد تحت الشمس لأنه حدث من قبل !

وبينما كان يتكلم كانت أصابعه الدقيقة تتحسس الجثة هنا وهناك . بينما لمعت عيناه بتفـكير عميق وأنتهى من فحصه بسرعة عجيبة حتى لتظن أنه لم يفعل شيئا وبعد ذلك شم شفتى الميت ونظر الى نعل حذائه الجلدى وسأل :

- ألم يحركه أحد ؟

- انما حركناه قليلا لنفحصه :

- يمكنكم رفعه من هنا فلا حجة لنا به .

أحضر جرجسون نقالة وأربع رجال دخلوا الغرفة ورفعوا الجثة . وبينما هم يرفعوه سقط منه خاتم وتدحـــرج على أرض الغرفة .

فأخذه ليستريد يتفحصه ثم صاح :

- لقد كانت هنا سيدة !! وهذا خاتم زواجها !

ووضعه على راحته وهو يتكلم فنظرنا الى الخاتم الذى كان بلا شك يزين فى يوم من الأيام أصبع عروس .

قال جرجسون :

- هذا يزيد المشكلة تعقيدا .. كان التعقيد كان ينقصها !

فقال هولمز :

- هل تعتقد أنه كذلك ؟ لا فائدة من اطالة النظر اليه هكذا .. هل وجدتم شيئا فى جيوبه ؟

وأشار جرجسون الى مجموعة أشياء موضوعة على احدى درجات السلم وقال :

- هذا كل ما وجدناه .. ساعة ذهبية رقم ٩٧١٦٣ ماركة مارود بلندن ، سوار ساعة ذهبى ثقيل ماركة البرت ، خاتم ذهبى بفص ، دبوس ذهبى على هيئة رأس كلب عيناه من الياقوت ، محفظة جلدية بها بطاقات باسم انوك ج دربر من كليفلاند . ووجدنا نقودا تبلغ حوالى سبعة جنيهات ، ونسخة من قصص بوكاشيو تحمل اسم جوزيف ستا نجرسن على الغلاف وجوابين أحدهما معنون الى أ . ج دربر والثانى الى جوزيف ستا نجرسن .

- على أى عنوان ؟

- فى البورصة الامريكية فى ستراند ، تحفظ لمن يسأل عنها . والجوابان من شركة بواخر جيون ويشيران الى اقلاع سفنهم من لفربول . ومن الواضح أن هذا الرجل التعس كان على وشك السفر الى نيويورك .

ـ هل قمت بتحريات عن ستا نجرسن هذا ؟

فرد جرجسون :

ـ قمت بها فى الحال . فقد أرسلت اشارات لكل الصحف وأرسلت أحد رجالى الى البورصة ولكن لم يعد بعد .

ـ هل اتصلت بكليفلاند ؟

ـ أرسلت برقية هذا الصباح ..

ـ ماذا قلتم فى نشراتكم ؟

ـ ذكرنا ظروف الجريمة وطلبنامن لديه أية معلومات تفيدنا أن يتصل بنا .

ـ هل أشرتم الى نقطة معينة ؟

ـ سألنا عن جرجسون ...

ـ هل من شىء آخر ؟ ألا يوجد مفتاح للغرفة ؟ وهل ستبرقون ثانية ؟

فقال جرجسون بغضب .

ـ قلت كل ما يمكننى التصريح به .

وكان شرلوك هولمز يهم بالحديث عندما دخل علينا لستريد الذى كان فى الغرفة الأمامية وهو يفرك راحتيه جذلا وقال :

- لقد اكتشفت أمرا فى غاية الأهمية وكنا سنغفله لولا اننى قمت بفحص الجدران بدقة . ولمعت عينا الرجل القصير وهو يتكلم وكأنه أمهر من زميله ، ثم قادنا الى الحجرة التى بدت أفضل بعد أن رفعوا الجثة قائلا :

- تعالوا هنا .

وأشعل عود ثقاب بحذائه ورفعه الى الحائط وقال فى خيلاء .

- أنظروا الى هذا !!

لقد ذكرت أننى رأيت الورق الذى يغطى الحائط ممزقا ومتدليا ولكن فى الجهة التى أشار اليها ليستريد تدلت قطعة كبيرة من الورق وظهرخلفها الجدار الأصفر وقد كتب عليه بحروف من الدم كلمة واحدة هى « راش » .

وقال رجل البوليس السرى وكأنه بائع يعرض بضاعة .

- ما رأيكم فى هذه الكتابة ، ان أحدا منكم لم يلاحظها لأنها فى ركن مظلم من الغرفة . لقد كتبها القاتل أو القاتلة بدمها ولطخ بها الحائط وهذا ينفى أن الحادث مجرد انتحار ! ثم لماذا اختير هذا الجزء من الجدار للكتابة عليه؟ سأقول لكم لماذا ... هل ترون بقايا الشمعة على الموقد ؟ لقد كانت مشتعلة . وحين اشتعالها يكون هذا الجزء من الجدار معرضا لأكبر كمية من نور الشمعة .

فقال جرجسون دون حماس :

- والآن وقد لاحظتها فماذا تظنها تعنى ؟

- تعنى أن كاتبها يريد كتابة راشيل ولكنه فوجىء فلم يستطيع تكملتها . وسترون عند كشف غوامض هذه الجريمة أن راشيل هذه سيدة ذات صلة بالحادث .

- أراك تضحك ياهولمز !! انك ذكى وماهر . ولكن سيثبت لك أن الثعلب العجوز يفوقك دهاء !

فقال صاحبى بعد أن قهقه بالضحك :

- اننى آسف . أنك أول من اكتشف هذه الكتابة وكما أوضحت فهى تحمل الدليل على أن الطرف الآخر فى الجريمة قد كتبها .. ولم تسمح لى الفرصة لفحص الغرفة أما الآن فارجو السماح لى بذلك .

وأخرج من جيبه شريطا طويلا وعدسة مكبرة مستديرة . وأخذ يذرع الغرفة بهدوء يتوقف مرات أو ينحنى ومرة استلقى فوق الأرض على وجهه . وكان منهمكا فى الفحص حتى بدا انه نسى وجودنا .. فكان يكلم نفسه أحيانا أو يتأوه أو يصفر أو يخرج أصواتا تدل على الأمل أو البشرى وذكرنى وانا اراقبه بالكلب السلوقى المدرب وهو يتقدم ثم يتأخر حتى يعثر على رائحة المجرم ..

استمر هولمز فى فحصه أكثر من عشرين دقيقة فقاس بدقة بين علامات لم أكن قد لاحظتها بالمرة .. وتوقف فى

أحد أركان الغرفة وأخذ بيده قليلا من التراب ووضعه فى ظرف وأخيرا فحص بالعدسة المكبرة كل حرف من الكتابة التى على الحائط بتمهل وعناية وبدا عليه أنه انتهى لأنه اعادة الشريط والعدسة الى جيبه ٠

وقال هولمز مبتسما :

ـ يقولون أن العبقرية هى القدرة الهائلة على مواجهة المشاكل ، انه قول مؤلم ولكنه ينطبق على عمل البوليس السرى كل الانطباق ٠

أما ليستريد وجرجسون فقد كانا ينظران اليه بفضول وشىء من الاستهزاء ٠٠ لأنهما لم يتبينا ما لاحظته أنا من أن ما قام به هولمز من فحوص ولو أنها بدت بسيطة الا أنها الرائحة التى سوف تقوده الى اكتشاف الجريمة ٠ وأخيرا سألاه :

ـ ما رأيك يامستر شرلوك هولمز ؟

فقال صديقى :

ـ أخشى أن ساعدتكما أن اسلبكما فضل اكتشاف الجريمة ٠٠ فانكما تسيران سيرا حسنا حتى الآن ولا لزوم لتدخل أحد ٠٠ ولكن اذا اطلعت على سير التحقيق فسوف أساعدكما بكل جهدى ٠٠ وأود الآن أن اتحدث مع الشرطى الذى اكتشف الجثة فهل ممكن أن أعرف اسمه وعنوانه ؟

فنظر ليستريد فى مذكرته وقال :

ـ جون رانس ـ فى أجازة الآن ولكنك تجده فى رقم ٤٦ حارة أودلى فى كاننجتون ٠

فكتب هولمز الاسم والعنوان ثم قال :

ـ تعالَ معى يادكتور وطسن لنبحث عنه ٠

ثم استدار لرجلى المباحث وقال :

ـ سأقول لكما شئيا يمكن أن يفيد كما فى حل لغز هذه الجريمة ٠٠ أنها جريمة قتل ٠٠ القاتل فيها رجـــل ٠٠ متوسط العمر طوله يزيد على ستة أقدام ولكن قدميـــــه صغيرتان يلبس حذاء مستقيما من الأمام ويدخن السيجار من نوع تريكنوبول ٠ ولقد أتى الى هذا المكان ومعـــــه الضحية فى عربة ذات أربع عجلات يجرها حصان ركبت فى رجله الأمامية اليمنى حدوة جديدة ومن المحتمل جدا أن يكون وجه الرجل احمر اللون وأظافر يده اليمنى طويلة ٠٠٠ هذا بعض ما استنتجته ولعله يفيدكم !

فنظر كا منهما الى الآخر وابتسما ابتسامة ساخرة وقال لســتريد :

ـ وكيف تمت جريمة القتل هذه ؟

ـ بالســم !

قالها هولمز وهو يهم بالانصراف ثم توقف عنـد الباب وقـال :

ـ شيء آخر ياليستريد .. لا تضع وقتك فى التفتيش عن الآنسة راشيل فان راش بالألمانية معناها « انتقام » !

٤ ـ معلومات جديدة

كانت الساعة قد بلغت الواحدة عندما تركنـا مسـرح الجريمة وأخذنى شرلوك هولمز الى أقرب مكتب تلغراف حيث ارسل برقية مطولة ، وبعد ذلك نادى على عربـة وأمر السائق أن يتجه بنا الى العنوان الذى أخـذه من ليستريد .

وقال صديقى محدثا :

ـ الأفضل أن نعرف الأخبار من مصدرها ، ومع اننى قد كونت لى رأيا فى موضوع الجريمة الا أنه يمـكن أن نعرف أشياء أخرى .

فاجبته :

ـ انك تدهشنى يا هولمز فهل كنت حقا متأكـدا من المعلومات التى قلتها لرجال البوليس ؟

ـ لامجال للخطأ فيها . فان أول شيء لاحظته عندما وصلنا المكان هو أثر عربة على جانب الرصيف .. وكمـا

تعرف لم تمطر الدنيا من اسبوع الا ليلة أمس .. وبما ان العجلات تركت أثرا عميقا فلابد انها كانت هنا ليلة أمس كما أن احدى حوافر الحصان قد تركت أثرا واضحا دلالة على انها جديدة . وبما أن العربة كانت هناك بعد سقوط المطر ، وبما أنها لم تكن موجودة فى الصباح كما قال جرجسون فلابد انها جاءت برجلين الى ذلك المكان :

- قد يكون هذا سهلا ولكن كيف عرفت طول الرجل ؟

- هذا بسيط . فان خطوات الرجل تدل على طوله .. ولا داعى أن أوضح ذلك لك بالأرقام .. وقد لاحظت خطوة ذلك الرجل على أرض الحديقة وعلى تراب الغرفة .. ولا تنس أن الانسان عندما يكتب على الحائط تكون كتابته عادة فى مستوى النظر .. وقد كانت الكتابة ترتفع عن الأرض أكثر من ستة أقدام !

- وعمره .. كيف عرفته ؟

لقد كان طول خطوته الثابتة أربعة أقدام ونصف فلايمكن أن يكون عجوزا ! .. وأنا لم أفعل أكثر من أننى طبقت بكل بساطة تلك القوعد فى الاستنتاج التى قرأتها فى ذلك المقال . هل من شىء آخر يحيرك ؟

- نعم .. طول الأظافر .. ونوع السيجار !

- لقد كانت الكتابة على الحائط بسبابة غارقة فى الدماء ولما فحصتها بالعدسة لاحظت أثر الأظافر على الحائط .. جمعت بعض التراب من الغرفة . كان ناعما

ولونه رمادى داكن ٠٠ وهذا لون رماد ذلك النـــوع من السيجار ٠ فقد قمت بدراسة لرماد السجاير بل كتبت بحثا فى الموضوع ٠ وأستطيع أن أتعرف على أنواعها من الرماد المتخلف عنها ٠ أن رجل المباحث القدير يستطيع بمثل هذه المعلومات أن يتفوق على أمثال ليستريد وجرجسون ٠٠

ـ واللون ٠٠ كيف عرفته ؟

ـ لا أريد فى الوقت الحاضر أن أجيب على هذا السؤال٠

فتحسست جبهتى وأنا أقول ٠

ـ أشعر كأنى فى دوامة ٠٠ كلما فكرت فى الجريمة زادت غموضا لماذا جاء هذان الرجلان الى ذلك المكان الخالى ؟ وماذا حدث للسائق الذى ركبا معه ؟ وكيف يتمكن انسـان أن يرغم آخر على تناول السم ؟ ودماء من تلك التى كانت تلطخ الأرض ؟ وما سبب وجود خاتم سيدة هناك ؟ وفوق ذلك لماذا كتب القاتل كلمة ثأر بالألمانيـــة ؟ اننى أعترف بعجزى عن تعليل كل هذه الأمور ٠

فابتسم صاحبى وقال :

ـ انك تلخص الموضوع تلخيصا مفيـــدا ٠ وما يزال الغموض يحيط ببعض جوانبه بالـرغم من اننى أحطت بأمور كثيرة ٠٠ أما رأى لستريد يد فكان تضـــليلا للبوليس ليتهم المنظمات السرية ولم يكن ليرتكب الجريمة ألمانيـا

لأن حرف الألف ولو أنه كان كالكتابة الألمانية الا الألمانى الصميم يكتبه على الطريقة اللاتينية اذن فالكاتب حاول تغطية حقيقته وتضليل البوليس . لن أقول لك أكثر من ذلك يا دكتور .. فانك تعرف أن الساحر يجب أن لا يشرح حيله قبل اللعبة والا أصبح رجلا عاديا .

فقلت لـه :

ـ بل انك مدهش حقا فقد أوجدت علما للجنايات يكاد يكون قائما بذاته .

سر صاحبى من تعليقى ومن الطريقة التى قلته بها . ولقد كان يحب الثناء على ذكائه كما تحب الفتاة اطراء جمالها .

ثم استطرد هولمز قائلا :

ـ سأقول لك شيئا آخر . فان صاحب الحذاء العريض وصاحب الحذاء المستقيم جاءا فى عربة واحدة وسارا فى الممر معا كصديقين : يتأبطان ذراعيهما . فلما دخلا قطعا الغرفة جيئة وذهابا أو على الأصح وقف ذو الحذاء العريض ساكنا بينما صاحب الحذاء المستقيم هو الذى كان يذرع الغرفة . لقد قرأت كل ذلك مرسوما على التراب . وكنت أستطيع أن أرى أن الذى كان يمشى كان يثور شيئا فشيئا وهذا ظاهر من تباعد خطواته وكان يتكلم طول الوقت محتدا . ثم وقعت المأساة . هذا كل ما أعرفه الآن

أما ماعدا ذلك فمجرد تخمين على أن هذه المعلومات أساس مهم نبنى عليه .. وعلينا أن نسرع فاننى أريد أن أذهب هذا المساء لأسمع نورمان نيرودا تغنى مع فرقة هالى الموسيقية .

كانت العربة قد شقت طريقها فى شوارع مظلمة وأزقة موحشة . ثم وقفت بنا فى أقذر تلك الشوارع وأضيقها وأشار السائق الى المكان قائلا :

ـ هذا هو حى أودلى ، وسوف أنظر كما هنا .

وسرنا بين جماعات من الأطفال فى منتهى القذارة حتى وصلنا الى رقم ٤٦ وكان مثبتا عليه قطعة من النحاس تحمل اسم رانس . ولما سألنا عنه قيل انه نائم فانتظرناه فى الصالة الصغيرة ، ولما حضر بدأ عليه الانزعاج لاقلاقه وقال :

ـ لقد قدمت التقرير الى البوليس . فأخرج هولمز قطعة نقود ذهبية وأخذ يلهو بها وقال :

ـ أردنا أن نسمعك تروى مارأيت . فأجاب الشرطى وعينه على قطعة النقود :

ـ يسرنى أن أقصى عليكما كل ما أعرفه . وجلس على أريكة من شعر الحصان وقطب حاجبيه كمن يحاول أن يتذكر كل شىء .. ثم قال :

ـ سأقصها عليكم من البداية . كانت حراستى من العاشرة مساء حتى السادسة صباحا .. وفى الساعة الحادية

عشر حدث شجار فى وايت هارت ولم يحـدث غير ذلك شىء ٠٠ وبدأ المطر يسقط فى الساعة الواحدة وقابلت هارى ميركر الذى كان مكلفا بحراسة منطقة الغابة الهولندية ٠ ووقفنا نتحدث عند ناحية شارع هنرييتا ، وحوالى الثانية رأيت أن اطمأن الى عدم وجود ما يعكر الأمر فى طـريق بركستون وكان موحلا موحشا ٠٠ ولم يقابلنى أحد على طول الطريق ولكن عربة أو اثنتان مرتا عنى ولمحت نورا فى شـباك ذلك المنزل وكنت أعلم انه خـال من السـكان فساورنى الشك ولما وصلت الباب ـ

فقال هولمز :

ـ وقفت ٠٠ ثم عدت الى باب الحديقة ٠٠ فلماذا فعلت ذلك ؟ فقفز رانس من مكانه وعلى وجهه أمارات الدهشة وقال :

ـ هذا صحيح ياسيدى ولو أننى لا أدرى كيف عرفت ذلك ٠ لما وصلت الباب خفت أن يظهر شبح رجـل مات هناك بالتفوئيد فعدت ادراجى نحو الباب لعـلى أرى المصباح الذى يحمله ميركر ولكن لم أر شيئا ولا أحدا ٠

ـ ألم يكن هناك أحد بالطريق ؟

ـ لا أحد ٠٠ فاستجمعت شـجاعتى وعـدت ودفعت الباب ٠ وكان كل مافى المنزل هادئا فذهبت الى الغـرفة حيث رأيت النور فوجدت شمعة خافتة حمراء ٠٠ وعلى ضوئها رأيت ٠

- أنا أعرف مارأيت .. انك مشيت فى الغرفة وانحنيت بجانب الجثة ثم سرت الى باب المطبخ محاولا أن تفتحه . ثم . . .

فصرخ رانس وبدأ الرعب فى وجهه والشك فى عينه .

- هل كنت مختبئا هناك ؟ يبدو أنك تعرف الكثير ..

فضحك هولمز وألقى بطاقته أمام الشرطى قائلا :

- لاتقبض على بتهمة القتل . أنا أحد الكلاب ولست الذئب . سيقول لك ليستريد وجرجسون كل شيء .. فاستمر ماذا فعلت بعد ذلك ؟

- عدت الى الباب الخارجى واطلقت الصفارة . فحضر ميركر وشخصان آخران .

- هل كان الشارع خاليا عندئذ ؟

- لم يكن هناك أحد يستطيع المشى ؟

- ماذا تعنى ؟

كان هناك رجل مخمور يستند الى الجدار يغنى أغنية معينة ولكنه لايستطيع الوقوف على رجليه ..

- ماشكل ذلك الرجل ؟

- كان طويلا ، له وجه أحمر عليه قناع .

فصاح هولمز :

ـ كفى ٠٠ وماذا صنعت به ؟

كان أمامنا ماشغلنا عنه وأظنه وجد طريقه الى البيت٠

ـ ماذا كان يلبس ؟

ـ معطفا بنى اللون ٠

ـ هل كان معه سوط ؟

ـ كلا ٠

ـ لابد انه القى به ٠٠ الم تسمع صوت عربة بعد ذلك ؟

ـ كلا ٠

فنهض هولمز وقال :

ـ هذه النقود لك يارانس ٠٠ وكان يمكن ان تحصل على رتبة شاويش فى الليلة الماضية ٠٠ فإن ذلك الرجل هو مفتاح الجريمة وهو الذى نبحث عنه ٠٠ هيا بنا يا دكتور ٠٠

وقال هولمز فى الطريق الى البيت ٠

ـ هذا الأحمق ٠٠ لاحت له فرصة ذهبية ولكنه لم يستفد منها ٠

ـ ولكنى ما أزال فى حيرة ٠ حقيقة أن أوصاف هذا الرجل تنطبق عليها الأوصاف التى كنت قد استنتجتها ٠ ولكن لماذا عاد الرجل الى البيت بعد أن غادره ٠ هذه ليست عادة المجرمين ٠

- لقد عاد من أجل الخاتم فهو دليلنا اليه .. وسوف أقبض عليه يا دكتور .. وأراهنك .. غير أنك السبب فى حضورى لمشاهدة الجريمة ويجب أن أشكرك . والآن الغذاء ثم الى نورمان نيرودا لنسمعها تغنى بصوتها الملائكى ، واسترخى فى مقعد العربة وراح يصفر لحنا لشوبان بينما كنت أنا أفكر فى القوى الخارقة التى يمتلكها العقل البشرى .

٥ ـ الممثل القدير

أثر المجهود الذى قمنا به فى الصباح على صحتى وشعرت بعد الظهر بارهاق شديد واستلقيت على المقعد بعد أن ذهب هولمز لحضور الحفلة الموسيقية وحاولت أن أنام بعض الوقت ولكن دون جدوى فقد أرقنى الحادث وازدحم ذهنى بتخيلات وأفكار كثيرة . وكلما أغمضت عينى تمثلت وجه القتيل القبيح وقد أرتسمت عليه علامات الاجرام بشكل جعلنى أعطف على القاتل وأكاد أشكره على أنه أزال مثل هذا المخلوق من العالم !

كانت ملامح ا . ج . دوبر تعبر عن منتهى الاجرام والشر ومع ذلك كنت أدرك أن العدالة يجب أن تأخذ مجراها وان حقارة الضحية ليست شفيعا للقاتل .

وكنت أستغرب استنتاج هولمز أن الرجل قتل بالسم . وأنا أذكر أنه اشتم رائحة شفتيه . وربما كان هذا العمل

هو الذى قاده الى ذلك الاستنتاج ، ولكن اذا لم يكن مات بالسم فكيف قتل اذن وليس به جرح أو أثار اختناق ؟ ثم من أين جاءت الدماء الكثيرة الى أرض الغرفة ، ولم يبد على القتيل أثر المقاومة ولم يوجد معه سلاح يصيب بـه المعتدى ؟ كانت كل هذه الأسئلة التى لا تجد جوابا تؤرقنى. أما هولمز . فقد كان يبدو عليه أنه وجد تفسيرا لا أعرفه لمعظمها وعاد متأخرا من الحفلة . ولمـا رجع قال .

- لقـــد كانت رائعة . هل تذكر ماقاله داروين عن الموسيقى ؟ لقد قال ان الانسان عرفها وأحبها قبل أن يعرف الكلام . واعتقد أن ذكرى الأحقاب الغابرة عندما كانت المخلوقات تحـبو نحو الأنسـانية ، ماتزال راسـخه فى نفوسـنا .

- يبدو لى أنها فكرة بعيدة .

- ان الأفكار يجب أن تتسع وتعمق لتستطيع تفسـير الطبيعة . ولكن ماذا بك ؟ انك لست كعادتك .. هل أثر عليك حـادث شارع بريكستون ؟

- كان يجب أن أكون أكثر احتمالا بعد كثرة ما شاهدت فى أفغانستان . فقد رأيت رفاقى يقطعون أربا فى ميواند دون أن أفقد أعصـابى ..

- ذلك لأن هذه الجريمة غامضة تترك للتخيل مجالا

واسعا ، وحيث لا يوجد التخيل لا يوجد الرعب ٠٠ هل قرأت صحف المساء ؟

ـ كلا ٠

ـ انها ذكرت تفاصيل الحادث ٠٠ ولكنها لم تذكر أن خاتما وقع من الجثة عند رفعها ، وحسنا فعلت ٠

ـ لمـاذا ؟

ـ اقرأ هذا الاعلان لقد أرسلته للجرائد بعد زيارتنـا للحادث مباشرة ٠ ومد الى يده بالجريدة ونظرت الى حيث أشار لى فى عمود « أشياء مفقودة » وقرأت فيه « عثر صباح هذا اليوم على خاتم زواج ذهبى فى الطريق بين فندق وايت هارت والغابة الهولندية ٠٠ والمرجو من صاحبه أن يتصل بالدكتور وطسن ٢٢١ ب شارع بيكر بين الثـامنة والتاسعة هذا المسـاء » ٠

ـ أرجو المعذرة لأقحام اسمك ، لأننى لو ذكرت اسمى لدس بعض هؤلاء الأغبياء من رجال اسكتلنديارد أنوفهم ٠

ثم قال معتذرا : ـ

ـ لا بأس ٠٠ ولكن لو جاء أحد يطلب الخاتم ٠٠ انه ليس معى ؟ !

ـ فمد يده الى بخاتم وقال :

ـ بل انه معك ٠٠ انه طبق الأصل ٠

ـ ومن تظنه سيهتم باعلانك ؟

ـ الرجل ذو المعطف البنى والوجه الأحمر والحذاء المستقيم ، واذا لم يأت بنفسه فسيرسل من ينوب عنه .

ـ ألا تعتقد أنه لن يخاطر بذلك ؟

ـ كلا .. واذا كانت تفسيراتى للجريمة صحيحة ، وعندى من الأسباب ما يدعمها ، فان ذلك الرجل سيضحى بأى شيء مقابل حصوله على الخاتم .. وفى رأيى أن الخاتم وقع منه وهو ينحنى فوق الجثة ولم ينتبه لوقوعه حينئذ ، وبعد خروجه اكتشف ذلك فعاد مسرعا ليجد البوليس قد ملأ المكان لأنه كان غبيا اذ ترك الشمعة مضيئة . فتظاهر بالسكر لئلا يشتبه فى وجوده هناك ـ ساعتئذ . والآن .. ضع نفسك فى مكانه ، فانه قد يعتقد أن الخاتم وقع منه فى الطريق فماذا تفعل عندئذ ؟ انه سيفتش فى صحف المساء فى عمود الأشياء المفقودة . وطبعا سيقرأ الاعلان . سيطير فرحا . ولماذا يخشى شيئا ؟ سوف لا يكون فى ذهنه ارتباط بين العثور على خاتم فى الطريق وجريمته فى المنزل أنه سيأتى حتما .. خلال ساعة !

ـ وحينئذ ؟

ـ تتركنى له .. هل معك سلاح ؟

ـ معى مسدسى القديم وبضع رصاصات .

ـ الأفضل أن تنظفه وتحشوه .. فالرجل خطر وسأخذه على غره ولكن الاحتياط أفضل .

استمعت الى نصيحته وذهبت الى غرفتى . وعندما عدت كان هولمز مستغرقا فى هوايته المفضلة : مداعبة الكمان ! ولما دخلت قـال :

- ان خطتى نجحت .. لقد وصلنى الان رد من أمريكا على برقيتى . ان وجهة نظرى فى الحادث صحيحة .

ثم أضاف :

- ان هذا الكمان فى حاجة الى أوتار جديدة . ضـع المسدس فى جيبك .. وعندما يأتى الرجل تحدث معه ، واترك لى الباقى .. لا تطل النظر اليه حتى لا تبعث فى نفسه الخـوف .

فنظرت الى ساعتى وقلت :

- الساعة الآن الثامنة ..

- نعم .. ربما يصل بعد دقائق . افتح الباب قليلا .. يكفى . ضع المفتاح فى الباب من الداخل .. شكرا ..

ثم أخذ يقلب كتابا بين يديه وقال :

- ها هو الرجل قد أتى ..

ودوى صوت الجرس فنهض هولمز ووضـع كرسيه فى مواجهة الباب وسمعنا وقع أقدام الخـادمة وهى تذهب لتفتح الباب الخارجى ثم صوت المقبض . وقال صـوت أجش :

- هل يقيم هنا الدكتور وطسن ؟

ولكننا لم نسمع ماذا قالت الخادمة بل سمعنا صوت الباب يغلق ثم وقع أقدام مرتكبة تصعد السلم . وبدأ الاستغراب على وجه هولمز وهو يصفر .

وقلت عندما سمعت طرقا خفيفا على الباب :

- أدخل .

ودخلت امرأة عجوز ! وبعد أن حيتنا وقفت تنظر الينا بعيون ضيقة وأصابعها المرتعشة تفتش فى جيوبها . فأخرجت جريدة مسائية وأشارت الى الاعلان .. وقالت :

- جئت من أجل هذا أيها السادة . خاتم ذهبى فى طـريق بركستون . انه يخص ابنتى سالى التى تزوجت من سنة وزوجها مضيف فى احدى السفن .. ولا أدرى ماذا يفعل عندما يجدها لا تلبسه فانه عصبى وخاصة اذا شرب الخمر .. وقد كانت ابنتى فى السيرك ليلة أمس مـع ..

فقلت مقاطعا :

- هل هذا خاتمها ؟

فصاحت المرأة :

- شكرا لله انه هو ! ان سالى ستكون فى غاية السرور !

فأخذت قلما وسألتها :

- وما هو عنوانك ؟

- رقم ١٣ شارع دلكان .. مكان بعيد من هنا .

فقال شرلوك هولمز :

- لا يوجد سيرك بين شارعى دنكان وبركستون .

فنظر اليه وقالت :

- هذا السيد سألنى عن عنوانى .. أما ابنتى فهى تقيم فى رقم ٣ شارع مايفيلد :

- وما هو أسمك ؟

- اسمى مدام سوير وابنتى زوجة توم دنيس وهو رجل حسن الأخلاق على ظهر الباخرة أما عندما يصل الى البر .. فالخمر والنساء ...

فأشار لى هولمز .. وقلت لها ..

- هاك الخاتم يامسز سوير .. انى سعيد أن أعيده لصاحبته .

فخبأته السيدة فى جيبها وهى تلهج بآيات الدعاء والشكر. وما أن غابت حتى قفز هولمز الى غرفته وعاد وقد لبس معطفه الطويل ورباط عنقه وقال بسرعة :

- سوف أتبعها .. أنها رسول المجرم وستقودنى اليه فانتظرنى .

ونظرت فرأيته يسير خلفها على رصيف الشارع فقلت لنفسى « اما أن يكون ظنه قد خاب واما أن يكون فى طريقه الى مفتاح الجريمة » ولم أستطع النوم فى انتظار نتيجة مغامرته ٠

كانت الساعة حوالى التاسعة عندما نزل ولا أدرى متى سيعود فعكفت على قراءة كتاب عن البوهيميين وأشعلت غليونى ٠ وسمعت وقع أرجل الخادمة تذهب الى غرفة نومها بعد أن دقت الساعة العاشرة ٠ وفى الحادية عشرة ذهبت صاحبة المنزل لتنام ، وعندما سمعت صوت مفتاحه فى الباب كانت الساعة قد قاربت الثانية عشرة ٠

وقرأت الفشل فى وجهه لحظة دخوله ولكنه ألقى بنفسه فى مقعده وانفجر ضاحكا وقال :

- دعنى أضحك على نفسى فقد سخرت كثيرا من رجال البوليس ٠٠ ولكننى تساويت معهم أخيرا ٠

فسألته : ماذا حدث ؟

- لا بأس أن أقول لك ما حدث ٠ فقد سارت تلك العجوز مسافة بسيطة ثم بدأت تتظاهر بالتعب وتعرج ثم نادت على عربة ٠٠ واقتربت منها لأسمع العنوان الذى تقوله للسائق ٠٠ ولكنها صاحت فيه بالعنوان الذى ذكرته لك ثم ركبت العربة وتعلقت بها من الخلف ولم تتوقف بعد ذلك الا فى

شارع دنكان ونزلت من العربة ورأيت السائق يترجل ليفتح الباب للسيدة فوقف مشدوها وهو يرفع صوته بأقذر الشتائم ٠

فقد كانت العربة خالية تماما ! ولما سألت عن رقم ١٣ وجدته لرجل يدعى كرويك وهو لا يعرف شيئا عن مسز سوير أو مسز دنيس ولم يسمع بهما من قبل ! ٠

فقلت مندهشا : ـ

ـ هل تقصد أن تلك العجوز الضعيفة الواهية قفزت من العربة وهى مسرعة دون أن تلاحظها أنت أو السائق ؟

ـ حاشا لله ! انما كنا نحن العجائز ! كانت شابا قويا وممثلا قديرا ٠٠ وقد لاحظ اننى اتبعه ٠٠ ولابد أن له عصابة شاركت فى اختفائه ٠٠ أما الآن يا دكتور فانك تبدو مرهقا ونصيحتى لك أن تذهب الى فراشك ٠

ولقد كنت مرهقا فعلا فاطعت نصيحته دون تردد ٠ وتركته جالسا أمام المدفأة ٠ وذهبت الى غرفتى ٠

وفى سكون الليل وصلت الى اسماعى تلك النغمات الخافتة الحزينة التى أدركت منها أن هولمز مازال ساهرا يفكر فى الجريمة الرهيبة وغموضها الذى آلى على نفسه أن يجلوه ٠

٦ ـ القاتل البرىء ٠٠٠

نشرت صحف اليوم التالى تفصيلات كثيرة تحت عنوان « جريمة غامضة فى شارع بركستون » ٠

وكانت بها بعض المعلومات التى كنت اجهلها وقد نقلت بعضها وقصصت بعضا آخر وما زلت أحتفظ بقصاصات منها فى كراسة خاصة . وسأذكر ملخصا لها .

قالت الديلى تلغراف :

« ... أنها قضية من أغرب ما وقع فى عالم الاجـرام فاسم الضحية الذى يدل على أنه ألمانى ، وعدم معرفة أى دافع للجريمة والكتابة التى تركها المجرم على الحائط .. كل هذه تدل على أن الجريمة من تدبير اللاجئين السياسيين أو الجمعيات الثورية ، التى لها فروع كثيرة فى أمريكا ، ولابد أن القتيل قد أفشى بعض أسرارها فتعقبته ..

وبعد أن أشارت الصحيفة الى بعض الجمعيات السرية المعروفة حينئذ اختتمت تعليقها بقولها :

« اننا نحذر الحكومة ونطالبها بفرض رقابة فعالة على الأجانب المقيمين فى البلاد ! ..

وقالت صحيفة « ستاندارد » .

... انما تتفشى مثل هذه الجرائم اذا كـانت الحكومة متساهلة أو متغافلة .. وسببها قلق الشعب وعدم وجـــود الاستقرار النفسى وتراخى السلطات وضعفها فالقتيل امريكى جاء الى المدينة من اسابيع واقام فى بنسيون تملكه مـدام كاربنتيه فى كامبرول ، وكان يصحبه فى سفره مستر جوزيف ستانجرسن سكرتيره الخاص ، وقد غادرا البنسيون يـــوم

الثلاثاء ، الرابع من هذا الشهر الى محطة يوستن ليستقلا القطار الى لفربول · وقد شوهدا على رصيف المحطة ، ثم انقطعت أخبارهما الى أن عثر على جثة المستر دربر فى منزل مهجور بشارع بركستون على بعد عـــدة أميال من المحطة · أما كيف اتى القتيل الى البيت وكيف لاقى مصرعه واين سكرتيره فامور مازال الغموض يحيط بها · وقد علمنا ان المستر ليستريد والمستر جريجسون وهما أشهر أثنين فى بوليس سكتلنديارد يحققان فى الجريمة ومن المتوقع أن يعرفا سرها قريبا جـدا ·

أما جريدة « ديلى نيوز » فقالت معلقة :

لاشك أن الدافع لهذه الجريمة سياسى · فان الحركات التحررية التى امتدت الى القارة ساقت الى شواطئنا عددا من المهاجرين الـذين كان من الممكن أن يكونوا مواطنين صالحين لو نسوا ما حل بهم هناك ·

ولقد كان بعضهم أعضاء فى جمعيات سرية · ويرجـع الفضل فى تقدم التحقيق الى قدرة المستر جرجسون من رجال سكتلنديارد فهو الذى استطاع بمجهوده الخاص أن يعرف العنوان الذى كان يقيم به القتيل · ويجب على البوليس أن يبذل أقصى جهده للعثور على ستانجر سن ليدلى بما لديه من معلومات عن رئيسه تلقى الضوء على الحادثة ·

قرأت أنا وهولمز هذه القصاصات ونحن نتناول فطورنا وكانت تسلية لطيفة ·

وقال لى صاحبى :

- لقد قلت لك أن ليسترايد وجرجسون سيفوزان بالغنم دائما .

- هذا يتوقف على النهاية .

- يا صاحبى ... لا أهمية مطلقا للنهاية ... فانه اذا ألقى القبض على القاتل عزوا ذلك الى مجهودهما واذا نجا فقد بذلا غاية الجهـد .

اننى أراهنك يا عزيزى على هذا .. فمهما فعلا فسوف يصفق لهما الكثيرون فالغبى يجد دائما معجبا يكون أشـد منه غباء .

وسمعت وقع أقدام كثيرة فى الصالة وعلى السلم وصوت صاحبة المنزل تطلق صيحات الاشمئزاز .

فقلت :

- من هؤلاء ؟

فقال بهدوء :

- فرقة من البوليس السرى الموكل اليها شارع بيكر .

واندفع الى الغرفة ستة من المشردين بملابس باليه لم تقع عينى من قبل على من هم أكثر قذارة .

وصاح هولمز بلهجة آمرة .

- انتباه !

فوقف الاوغاد الستة فى صف واحد كأنهم تماثيل مشوهة فأردف قائلا :

- بعد اليوم سينوب عنكم وجنز فى الاتصال بى ، والباقون ينتظرون فى الشارع . هل عثرت عليها ياوجنز ؟

فقال أحد الأولاد :

- لا يا سيدى .

فناول كل واحد منهم شلنا وقال :

- كان أملى ضعيف فى أن تهتدوا اليها . ها كم أجركم . والآن انطلقوا واتونى باخبار طيبة .

واشار لهم بيده فانطلقوا يتدافعون على السلم كالفئران ولم البث أن سمعتهم فى الشارع يتصايحون .

قال هولمز :

- ان العمل الذى يقوم به واحد من هؤلاء المتشردين يساوى عمل عشرة من رجال البوليس ، فان رؤية الشرطى تلجم أفواه الناس ، أما هؤلاء الأولاد فيرتادون جميع الأماكن ويسمعون كل شىء وهم شياطين قادرون ولا ينقصهم سوى حسن الاشراف .

- هل تستعين بهؤلاء على حل لغز بركستون ؟

- نعم .. فهناك أمر أريد التأكد منه ويحتاج ذلك بعض الوقت انظر ! أن جريجسون يعبر الشارع متهلل القسمات . لابد أن لديه أخبارا لنا . ها هو يقف أمام الباب الخارجى .

وسمعنا دوى الجرس .. فوقع أقدام المخبر الاشقر الشعر وهو يقفز كل ثلاث درجات من السلم مرة وآحدة ثم اندفع الى حجرتنا .

وصافح يد هولمز الممدودة بقوة وعنف وهو يقول :

- قدم لى التهانى ياعزيزى .. لقد وضح غموض الجريمة كالشمس .. لقد كشفت عنه النقاب !

وارتسم القلق على وجه هولمز المعبر وسأله :

- هل تعنى أنك أهتديت الى المجرم ؟

- لم أهتد فقط .. اليه .. انه الآن مقيد بالأصفاد !

- من هو ؟

قال جريجسون وهو يفرك كفيه المليئتين وقد انتفخت أوداجه ..

- آرثر كاربنتيه .. ملازم من ضباط بحرية صاحبة الجلالة .

فانفرجت أسارير هولمز وتنهد بارتياح وقال :

- تفضل بالجلوس ودخن هذا السيجار ... اننا متلهفان

لمعرفة الطريقة التى أتبعتها للوصول الى الحقيقة .. هل لك فى كأس من الويسكى ؟

- لا مانع .. ان المجهود الذى بذلته أخيرا ارهقنى .. ولا أعنى المجهود العضلى بل المجهود الذهنى كما تعرف ، ولاشك أنك تقدر ذلك فعمل كل منا ذهنى لا جسمانى :

فرد هولمز :

- اشكرك على هذا الاطراء .

ولكن حدثنا كيف وصلت الى هذه النتيجة المدهشة ؟

واسترخى المخبر فى مقعده ونفث دخان سيجاره بلذة .. وارخى يديه .. وفجأة اصابته نوبة من الغبطة وضرب كفيه وصاح :

- ان الذى يبعث على الضحك هو ان ليستريد ، هذا الأحمق الذى يظن نفسه عبقريا ، قد امعن فى طريق الخطأ تماما . يبحث عن ستانجرسن السكرتير البرىء من الجريمة براءة الطفل قبل مولده . ولا شك أنه قبض عليه الآن .

واضحكته الفكرة حتى كاد يختنق :

- وكيف وصلت الى اكتشاف الجريمة ؟

- سأخبركما بكل شىء .. ولكن أرجو يا دكتور وطسن أن يبقى هذا الأمر سرا بيننا .. أول الصعوبات التى واجهتنا

هى كيف نعرف ماضى الأمريكى القتيل .. بعض الناس كانوا يفضلون انتظار ما تسفر عنه اعلاناتهم .. أو الى أن يتطوع جماعة بالتقدم بما لديهم من معلـومات .. ولكن طوبياس جريجسون لا يفكر كهؤلاء البعض .. هـل تذكر القبعة التى كانت بجانب الجثة ؟

فرد هولمز :

- أذكرها .. أنها من محـــلات جون أندروود وأولاده بشارع كامبرويل رقم ١٢٩ !!

وتلاشت كبرياء جرجسون وهو يقول :

- لم أكن أعتقد أنك لاحظتها .. هل قمت بزيارة محلات جون أندروود ؟

- لا ...

فشعر جريجسون بالارتياح وقال :

- كان يجب عليك أن لا تفعل ذلك الأمر وان بدا تافها .

فرد هولمز بحكمة :

- ان العقل الفذ لا يغفل صغيرة ولا كبيرة !

- لقد عرفت عنوان القتيل من سجلات أندروود آذ أننى زرته وسألته عما اذا كان قد باع قبعة ذكرت له شكلها وحجمها .. فتبين أنه قد أرسلها الى المستر دربر المقيم فى بنسيون كاربنتبيه بميدان توركوى .

فقال هولمز :

- هذه عبقرية ! ثم ماذا ؟

- توجهت الى مدام كاربنتيه وكانت بادية القلق شاحبة اللون .

ووجدت ابنتها عندها وجفونها حمراء ولما حققت معها أخذت شفتاها ترتعشان .. ولم تفتنى ملاحظة ذلك .. فبدأت ارتاب فى الأمر وداخلنى شعور ، لاشك انك تدركه يا مستر هولمز ، عندما تجد أنك عثرت على ضالتك شعور يهز الأعصاب فسألتهما :

- هل سمعتما بمقتل المستر اينوك دربر الذى كان ينزل عندكما ؟

وعجزت الأم عن التفوه بكلمة واحدة فأحنت رأسها أما ابنتها فقد انخرطت فى البكاء فزاد شعورى بأن هاتين السيدتين تعرفان بعض تفاصيل الجريمة ، فعدت أسأل الأم :

- كم كانت الساعة عندما ترك مستر دربر هذا البيت متوجها للمحطة ؟

وردت السيدة وهى تحاول أن تغالب قلقها :

- غادرنا فى الثامنة ، وقد قال سكرتيره مستر ستانجرسون أن هناك قطارين يقوم الأول فى الساعة التاسعة والربع والثانى فى الحادية عشرة وقال انهما سيستقلان أول قطار .

- وهل كانت تلك آخر مقابلة لك مع المستر دربر ؟

وامتقع لون السيدة وأنا أسألها هذا السؤال ؟

ومضت ثوان قبل أن تستطيع المرأة أن تجيب بكلمة نعم بصوت متهدج خشن . وسادت فترة صمت ثم قالت ابنتها بصوت هادىء واضح :

- لا فائدة من الكذب ياأماه فلنقل الحقيقة لهذا الرجل . نعم يا سيدى لقد رأيناه بعد ذلك ! وتهالكت الأم فى مقعدها ورفعت يديها قائلة :

- سامحك الله يا ابنتى فلقد قتلت أخاك !

فردت الابنة بحزم :

- ان آرثر كان يفضل أن نقول الحقيقة !

فقلت لها :

- الأفضل أن تقوليها لى الآن فالكتمان لا يفيد .. ثم اننا نعرف الكثير .. !

فصرخت الأم فيها قائلة :

- ستتحملين النتائج يا اليس !

ثم وجهت كلامها لى وقالت :

- سأخبرك بكل شىء يا سيدى .. ولكن لا تظن أن قلقى على ولدى مرجعه ان له يدا فى تلك الجريمة الشنعاء . فانه برىء منها . وخوفى أنما ينتج من أنه يكون فى نظرك

ونظر الاخرين عرضة للاشتباه والخطر .. ان اشتراكه فى الجريمة مستحيل فان أخلاقه الرفيعة ونبل مهنته وماضيه تمنعه من ذلك .

فأجبتها :

ـ الأفضل لك أن تذكرى الحقائق كما هى وثقى أنه اذا كان بريئا فلن يصاب بسوء .

فقالت السيدة بعد أن طلبت من أبنتها أن تغادر الغرفة :

ـ لم يكن فى نيتى أن أخبرك بكل ماسأقوله ، أما وقد ذكرته ابنتى فليس أمامى طريق آخر .. والآن يا سيدى وقد قررت أن أتكلم فسأذكر أدق التفاصيل .

فقلت :

ـ هذا عين الصواب .

ـ لقد قضى معنا مستر دربر حوالى ثلاثة أسابيع وكان فى رحلة بأوروبا يرافقه سكرتيره . وقد رأيت مكتوبا على حقائبه كلمة « كوبنها جن » دليلا على أن تلك المدينة كانت آخر مكان توقفا فيه : أما ستانجرسن فكان هادئا متحفظا بعكس رئيسه الذى كان يناقضه تماما . فقد كان غليظا خشن الطباع بكل أسف ففى ليلة وصوله افرط الشراب .. حتى أنه لم يعد الى رشده الا بعد ظهر اليوم التالى . وكانت معاملته للخادمات حقيرة بذيئة . والاسوأ من ذلك أنه اتخذ نفس الأسلوب مع ابنتى أليس وتحدث معها أكثر

من مرة بطريقة لا تدركها لأنها لحسن الحظ ساذجة . وذات مرة أوقفها واحتضنها ، مما جعل سكرتيره يلومه على هذا التصرف الذى لا يليق بالرجال .

فسألتها :

- ولكن لماذا احتملت كل ذلك ؟ أعتقد أنه يمكنك طرد نزلائك اذا أردت .

فاحمر وجه السيدة خجلا لهذا السؤال وقالت :

- كم وددت أن أنذره منذ اليوم الأول ، ولكنى لم أستطع مقاومة الاغراء . لقد كان كل منهما يدفع جنيها فى اليوم - أربعة عشر جنيها كل أسبوع فى أيام الكساد هذه . اننى أرملة ولى ابن فى البحرية كلفنى الكثير ولقد تصرفت بحيث لا أخسر ذلك المبلغ الذى يدفعه ، غير أننى لم أحتمل ما فعله مع ابنتى فطلبت منه أن يغادر البيت وهذا هو سبب رحيله الذى فرحت به لأن ابنى كان فى أجازة وهو عصبى حاد الطبع يحب شقيقته حبا عظيما فلم أقل له شيئا مما حدث .

ولما أقفلت الباب خلفه خيل لى أن حملا قد انزاح عن كاهلى . ولكن لم تمضى ساعة على رحيله حتى دق جرس الباب ورأيت أنه قد عاد !

كان ثملا فزادته الخمر انفعالا . ودخل على الغرفة ومعى ابنتى وأخبرنا فى كلمات متقطعة ان القطار قد فاته ثم

التفت الى أليس واقترح عليها ، على مسمع منى أن تهرب معه وقال لها : « لقد بلغت سن الرشد والقانون لا يمنعك . أن معى من المـال ما أسـتطيع أن أنفق وادخـر منه ، لا تحفلى بهذه العجوز ! تعالى معى لنخرج الآن وسـوف تعيشين كالأميرة ! وملأ الرعب قلب اليس وفزعت منه ولكنه امسك بيدها وحاول أن يسحبها نحو الباب . فصرخت وفى تلك اللحظة دخل الغرفة ابنى آرثر !

أما ما حدث عندئذ فلست أعمله ، أنما سـمعت صوت عراك وشتائم ، فقد بلغ بى الرعب بحيث لم اجرؤ على رفع رأسى ، وأخيرا نظرت فرأيت ارثر واقفا بالبـاب يضحك وفى يده عصا .فقال :

لا أعتقد أن هذا الرجل سيزعجنا مرة ثانية وسأتعقبه لأرى ماذا يصنع !

ثم أخذ قبعته ونزل الى الشارع وفى صباح اليوم التالى علمنا بمقتل مستر دربر .

وأنهى مستر جريجسون حديثه بقوله :

ـ هذا ما قالته مدام كاربنتيه وكان صوتها ينخفض أحيانا حتى لا أكاد أسمعه ولكننى سجلت كل كلمة حتى لا يحدث خطأ .

فقال شرلوك هولمز وهو يتثاءب .

ـ عندما أنتهت السيدة من كلامها رأيت ان الأمر كله

يتوقف على شيء واحد ! نظرة وجدت لها مفعولا أكيدا لدى السيدات !

وسألتها :

- متى عاد ولدك ؟

- لا أدرى !

- كيف لا تدرين ؟

- ان معه مفتاحا ولهذا لا اضطر لانتظاره .

- أذن فقد عاد بعد أن نمت ؟

- نعم .

- متى أويت الى فراشك !

- حوالى الحادية عشرة .

- معنى هذا أن ابنك قد غاب أكثر من ساعتين ؟

- نعم !

- وربما أربع أو خمس ساعات .

- نعم !

- وماذا كان يفعل ؟

وقالت وقد اصفر وجهها .

- لا أدرى !

وبالطبع لم يبق بعد ذلك شـيء أفعلـه فى البيت ٠ واستطعت أن أعرف مكان المـلازم كاربنتييه وأخذت معى ضابطين وألقيت القبض عليه ٠

ولما وضعت يدى على كتفه وطلبت منه عدم المقاومة قال لى بكل جرأة :

ـ أظنك تقبض على بتهمة اشتراكى فى مقتـل ذلك النذل دربر ؟

ولم نكن قد قلنا له شـيئا من هـذا فكانت أشارته الى الحادث باعثا على الريبة ٠

ووجدت معه نفس العصا التى قالت أمه أنه أخذها معه عندما خرج وراء دربر ٠

ـ وماذا تعتقد الآن ؟

ـ أعتقد أنه تعقب دربر حتى شارع بركسـتون حيث نشب بينهما العراك من جديد وتلقى دربر ضربة عصا فى بطنه تركته قتيلا دون تخلف أثرا ٠ وكان المطر يتسـاقط فلم يكن هناك أحد ، فحمل كاربنتييه جثة غـريمه الى البيت المهجور ٠ أما بخصوص الشمعة والدم والكتابة التى على الحائط والخاتم الذهبى فكلها حيل لتضليل البوليس؟

فقال هولمز مشجعا :

ـ أحسنت صنعا ٠ أنك فى تقدم يا جرجسون وسوف نصنع منك شيئا !!

فقال جريجسون فى خيلاء :

ـ انى فخور بما وصلت اليه ولقد أدلى الرجل باعتراف بمحض اختياره قال فيه أنه بعد أن تعقب دربر بعض الوقت أحس به فاستقل عربة حتى يهرب منه فعاد للبيت وقابله فى الطريق صديق فسارا معا مسافة طويلة ٠

ولما سألته عن محل اقامة ذلك الصديق لم يستطع أن يقدم جوابا مقنعا ٠

على أننى أضحك كثيرا وانا أفكر فى لستريد الذى سار فى طريق خاطىء واخشى انه لن يصل الى نتيجة ٠

ولكن يالله ٠ هاهو لستريد !!

ودخل لستريد الغرفة ولكنه لم يكن كعادته فقـــد كان مضطربا ولم يبد أنه أهتم بملابسه أو اعتنى بنفسه ٠

وقد جاء لاستشارة شرلوك هولمز لأن الضيق بدأ عليه لمـــا رأى زميله ٠ فوقف فى منتصف الغرفة كالمشـــدوه ثم قال أخيرا :

ـ هذه مشكلة من أغرب المشاكل ولغز يحير العقول !

فقال جريجسون بلهجة المنتصر ٠

ـ أتجدها كذلك ؟ لقد عرفت انك ستصل الى هذا الرأى

ـ ولكن هل عرفت مكان السكرتير ستانجرسن ؟

فقال ليستريد بأسى :

ـ اكتشف مقتولا فى أحد الفنادق فى الساعة السادسة من صباح اليوم !

٧ ـ المفاجـأه الكبرى

لم يتوقع أحد منا هذا الخبر المزعج الذى فاجـــأنا به المستر ليستريد · فاعترانا الذهول · أما جريجسون فقـد قفز من مقعده فوقع كأسه مما فيه من الويسكى · ونظرت الى شرلوك هولمز فرأيته مستغرقا فى التفكير · وهو يقول :

ـ أن مقتل ستانجر سن يزيد المسألة تعقيدا !!

فقال ليستريد وقد جلس على أحد المقاعد :

ـ كأن التعقيد كان ينقصها !! ولكن يظهر اننى اقتحمت عليكم مجلسكم !

قال جريجسون :

ـ ولكن · هل متأكد انت مما قلت ؟

فأجاب ليستريد :

ـ لقد كنت أول من اكتشف الحادث · ثم اننى قادم من غرفة القتيل !

وقال هولمز يخاطب ليستريد :

- كنا نستمع الى رأى جريجسون فى الحادث .

ولكننى أرجوك أن تطلعنا على ما رأيت وما اتخذته من اجراءات .

فاعتدل ليستريد فى كرسيه وقال :

- لا مانع من ذلك . وأريد أن أعترف لكم اننى كنت أرى أن ستانجرسن له ضلع فى مقتل دربر .. أما وقد قتل فلابد اننى كنت مخطئا . ولكن الفكرة كادت تسيطر على ولهذا وجهت همى للعثور عليه . وعرفت أنه هو ودربر قد كانا بالمحطة فى الثامنة والنصف من ليلة الحادث . وقد عثر على دربر مقتولا فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل. وكان السؤال الذى يواجهنى هو ان اعرف أين كان ستانجرسن فى ذلك الوقت ، وماذا وقع له ؟ !

وقد أبرقت الى ليفربول بأوصافه ، كما طلبت فرض رقابة على السفن الامريكية . ثم أخذت افتش عنه فى جميع الفنادق فى حى يوستون لأنه لو انهما افترقا فمن الطبيعى أن يقضى ستانجرسن الليل فى مكان قريب ليأخذ القطار فى الصباح :

فقال هولمز :

- من المحتمل انهما قبل ان يفترقا على اللقاء فى مكان ما!

ـ لقد ثبت انهما فعلا اتفقا على ذلك . وقد قضيت ليلة امس افتش فى كل مكان دون جدوى .

وبدأت التفتيش من الثامنة من هذا الصباح حتى وصلت الى فندق هاليدى فى شارع جورج ولما سألتهم عما اذا كان شخص باسم ستانجر سن يقيم عندهم قالوا :

ـ نعم . انه ينتظر زيارة رجل منذ يومين .

ولاشك انك ذلك الرجل .

فسألتهم :

ـ واين هـــو ؟

ـ نائم فى غرفته وقد طلب ان نوقظه فى التاسعة .

ـ سأصعد لأراه الآن .

وقد تخليت انه سوف ينهار عندما يجدنى أمامه فيعترف بكل شىء وقادنى أحدهم فى ممر صغير فى الطابق الثانى حيث توجد غرفته وهم بالعودة حين رأيت شيئا اهتزت له أعصابى رغم خدمة العشرين سنة التى قضيتها بين الجرائم ! كان هناك خط من الدم قد خرج من تحت باب غرفته وتجمع فى الممر .

عندئذ صرخت ، كاد يغمى على الشخص الذى قادنى عندما رأى ذلك . وكان باب الغرفة موصدا من الداخـــل ولكننا فتحناه بالقوة ..

كانت النافذة مفتوحة والى جانبها جثة رجل فى ملابس النوم وكانت أطرافه باردة متصلبة ممـا يدل على مضى وقت على موته ٠٠ ولما نظر عامل الفندق فى وجهه عـرف فيه المستر ستانجرسن ! وكان موته بطعنة فى جنبه الأيسر نفذت الى القلب ٠٠ ولم يكن هذا كل شىء بـل كان هناك شىء أشد غرابة ٠٠ فماذا تظنون أنى رأيت غير هذا ؟

وانتظر ليستريد الجواب .

أما أنا فانخلع قلبى وحسست بشعور داخلى بالخطر الذى سنتعرض له ٠٠ ولكن شرلوك هولمز قال :

— رأيت كلمة راش مكتوبة بالدم :

وصمتنا لحظة بينما أجاب ليستريد فى عجب :

— نعم ٠ كان هذا هو مارأيته !

اذن فهناك تشابه بين الجريمتين وزاد من بشاعتهما أن القاتل واحد ٠٠ وبدأت أعصابى ، التى كانت ثابتـة فى لهيب المعركة ، تنهار !

وأكمل ليستريد حديثه قائلا :

— هناك من رأى القاتل ٠٠

فقد صادف مرور أحد موزعى اللبن خلف الفندق فلاحظ أن السلم الخشبى الذى اعتاد ان يـراه ملقى على الارض

قد استند الى الحائط ورأى رجلا يهبط هذا السلم بهدوء فلم يثر الأمر ريبته واعتقد أنه أحد عمال الفندق أو أحد النجارين جاء الى العمل مبكرا .

وقد ذكر موزع اللبن ان الرجل طويل ، أحمر الوجه ، يلبس معطفا بنيا طويلا .

ويظهر لى أن الرجل قد مكث بالغرفة بعض الوقت بعد ارتكابه الجريمة فقد وجدت آثار دماء فى الحوض تدل على أنه غسل يديه كما ترك آثارا على الفراش تدل على أنه نظف خنجره بها .

وحين انتهى ليستريد نظرت الى هولمز فوجدت أنه لم يتأثر مع أن أوصاف القاتل تنطبق على ما قاله لنا ، ولكنه سأل ليستريد :

- ألم يترك القاتل أثرا يدل عليه ؟

- أبدا .. وجدت محفظة دربر فى جيب القتيل ولاغرابة فى ذلك فهو الذى يقوم بدفع النفقات . ووجدت بالمحفظة ثمانين جنيها كاملة .. فليست السرقة هى الباعث على هذه الجرائم الغريبة .. ولم أجد فى جيوب القتيل أية مذكرات أو أوراقا فيما عدا برقية بدون توقيع مرسلة منذ شهر من كليفلاند تقول « ج . هـ . موجود فى أوروبا » .

فسألة هولمز :

- ألم تعثر على شىء غير هذا ؟

- أشياء لا أهمية لها .. قصة ملقاة على السرير ربما كان القتيل يقرؤها لينام .. والغليون على كرسى بجانبه .. وكوبا من الماء على المائدة .. كما وجدت على أرض النافذة علبة صغيرة فيها قرصان من الدواء .

عندئذ قفز هولمز من مقعده وصاح فى سرور بالغ :

- هذه هى الحلقة الاخيرة فى فهم القضية !

فنظر اليه الرجلان فى دهشة وهو يقول :

- تحت يدى الآن كل خيوط هذا اللغز .. وقد تنقضى بعض التفاصيل ولكننى أكاد أرى بوضوح ما حدث منذ افترق الرجلان فى المحطة حتى عثر على جثة ثانيهما فى الفندق ! وسأثبت لكم صحة آرائى .. هل وضعت يدك على تلك الحبوب يا ليستريد ؟

- انها معى .. فقد تحفظت عليها وعلى البرقية والمحفظة .. على أنى لا أعلق عليها أهمية كبيرة .

وأعطى هولمز علبة الدواء فأعطاها بدوره لى قائلا :

- هل هذه الحبوب علاج متداول يا دكتور وطسن ؟

وفحصت الحبوب فوجدت أنها لم تكن متداولة وأنها ذات لون رمادى .. صغيرة ، مستديرة .. شفافة عند تعرضها للنور فقلت :

- أعتقد أنها تذوب فى الماء لانها شفافة وخفيفة .

فقال هولمز :

ـ انها لكذلك ٠٠ أرجوك أن تأتى بكلب السيدة المريض الذى طلبت منك أمس أن تجد طريقة تريحه بها من آلامه ٠

وأحضرت الكلب الذى كان يلهث آخر أنفاسه ووضعته على وسادة فى منتصف الغرفة فقال هولمز :

ـ سأقسم هذه الحبة الى نصفين ٠٠ نحتفظ بأحدهما فى العلبة ٠ أما النصف الآخر فسوف أضعه فى هـذا الكأس وأضع عليه قليلا من الماء ٠٠ انه يذوب بسرعة كما أوضح صديقنا الدكتور !

فقال ليستريد وقد بدأ يشك فى استنتاجاته :

ـ هذا شىء لطيف ٠٠ ولكننى لا أرى العلاقة بين الحبوب وبين مقتل ستانجرسن ٠

ـ صبرا يا عزيزى ٠ فى الوقت المناسب سـتعرف أنها السبب ! والآن سأضيف الى المحلول قليلا من اللبن ليقبل عليه الكلب ٠

ثم أفرغه فى وعاء وقدمه للكلب الذى لعقه حـالا ٠ وجلسنا صامتين نرقب التجربة ولكن لم يبد على الكلب شىء وانما تمدد على الوسادة وكأن لم يكن فى المزيج شىء!

ومضت دقيقة وهولمز ينظر فى ساعته ٠٠ ثم ظهر عليه الامتعاض وخيبة الامل ٠٠ وأخذ ينقر المائدة بأصابعه فى

لهفة وعصبية حتى لقد اشفقت عليه ، أما الشرطيان فقد ابتسما لهذا الفشل الذى منى به هولمز !

وأخذ يذرع الغرفة فى قلق وهو يفكر بصوت مرتفع :

لا يمكن أن يكون الأمر مجرد صدفة .. مستحيل ... فان الحبوب التى اعتقد انها قضت على الضحية الأولى وجدت بجانب الضحية الثانية !! ولنكها لم تؤثر فى الكلب! فما معنى هذا ؟ لا يمكن أن تكون استنتاجاتى خاطئة .. لايمكن .. ولكن .. آه .. فهمت ! !

وجرى نحو علبة الدواء وقسم الحبة الثانية وأخذ نصفها فأذابه فى الماء وأضاف اليه اللبن وقدمه للكلب ! !

ولم يكد المسكين يلعقها حتى دبت الرعشة فى كل أوصاله ثم سكنت حركاته وفارقته الحياة فى لحظات وكأنما مسته صاعقة !

فتنهد هولمز ومسح قطرات من العرق من على جبينه وقال :

- يجب أن أكون أكثر ثقة بنفسى .. وكان ينبغى أن أدرك أن للحقيقة وجها ستسفر عنه مهما وقف فى طريقها.. وأن أعرف حتى قبل أن أرى علبة الدواء أن بها نوعان من الحبوب أحدهما سام جدا والآخر لا ضرر من تعاطيه !

وقد كانت جملته الأخيرة مفزعة .. وبدا لى أن هولمز فى غير حالته الطبيعية .. على أنه ثبت بالبرهـان أن كلامه صحيح .

وبدأ الضباب الذى يلف الحوادث ينجلى تدريجيـا ، وبدأت أرى وميضا من النور وسط الظلام الحالك !

واستطرد هولمز :

ـ كل هذا يبدو غريبا عليكم .. لأنكم فشلتم منذ البداية فى العثور على الدليل المادى الذى كان بين أيديكم ... أما أنا فقد عرفته .. وكل ما حدث بعد ذلك كان يؤيـد وجهة نظرى ، بل لقد كان ما حدث تسلسلا منطقيا فى نظرى .. ومن هنا كانت الأشياء التى عقدت القضية فى نظركم وحيرتكم هى نفس الأشياء التى أكدت صدق ظنى .

ومن الخطأ الخلط بين غموض حادثة ما وبين خروجها على المألوف . والجريمة التى تبدو مألوفة تكون عادة أشد غموضا لأنها لا تقدم أدلة نهتدى بها . ولقد كانت الجريمة التى أمامنا ستكون أشد تعقيدا لو أن الجثة وجدت ملقاة فى الطريق العام .

وحينئذ لن نعثر على ما وجد قرب الجريمة من أدلة . تلك الأدلة التى جعلت من السهل لا من الصعب اماطة اللثام عن الجـريمة .

وفرغ صبر جريجسون من هذه المحاضرة وقال :

- اسمع يا مستر شرلوك هولمز . اننا نعترف لك بالذكاء وان لك طريقتك الفذة فى الاستنتاج . ومع هذا فانا لسنا فى معرض المحاضرة والنظريات الآن . بل المهم أن نعثر على المجرم . لقد وضح خطأ تفسيرى للحادث وليس لكاربنتييه شأن به . أما ليستريد فقد أخطأ أيضا لأنه اعتقد أن ستانجرسن هو القاتل . أما أنت فأشرت الى أشياء كثيرة ويظهر أن لديك من المعلومات ما يفوق ما لدنيا . وعليه فاننى أرى من الواجب أن أسألك عن معلوماتك عن الحادث .. وان أطلب جوابا صريحا . فهل تعرف من يكون القاتل ؟

فعلق ليستريد على ذلك بقوله :

- أرى أن جريجسون على حق . فقد فشل . كما لم أوفق أنا . وقد أشرت فى حديثك أكثر من مرة الى أن لديك الأدلة الكافية . ويجب أن لا تستمر فى كتمانها ..

فقلت :

- ان أى تأخير فى القبض على المجرم قد تنتج عنه جريمة ثالثة .

وبدا على هولمز انه استسلم لارادتنا وأخذ يمشى فى

الغرفة ورأسه الى أســـفل وجبينه مقطب كعادته عندما يستغرق فى التفكير ثم وقف فى مواجهتنا وقال :

ـ لن تكون هناك ضحية ثالثة ! ودعكم من التفكير فى هذا ! انكم سألتمونى اذا كنت أعرف المجرم ، وأنا أقول نعم ٠٠ ولكن معرفة اسمه شىء والقبض عليه شىء آخر ٠٠ وسيقع فى يدى قريبا جدا ٠٠ وسأتولى الأمر بنفسى ٠٠ لأنه أمر يحتاج الى دقة وسهارة لأننا أمام رجل فطن شرس٠٠ فضلا عن أن له كما قلت أعوانا أشد منه شراسة وفطنة !

ويجب أن لايحس الرجل انه موضع أدنى شبهة والا فانه سيغير اسمه ويحتفى فلا نعثر عليه وسط هذه الملايين التى تملأ لندن ٠

واريد أن أقول لكما ، وأرجو أن لا أجرح شعوركما ، ان هذه العصابة أشد دهاء من رجال الشرطة ٠ وهذا هو السبب الذى من أجله لم أطلب مساعدتكما ٠ فاذا فشلت فى المهمة فانا مستعد أن اتحمل النتائج ولكننى اعدكم اننى سأتصل بكم فى حالة ما اذا رأيت ذلك ممكنا !

ويظهر ان ليستريد وجرجسون لم يقتنعا بهذا الوعـد أو بعجز قوى الأمن ٠ وبدت عليهما الدهشة ، وقبـل أن ينطق أحدهما بكلمة دق الباب بلطف ودخل وجنز ممثل ممثل المتشردين ! وقال وهو يداعب خصلات شعره :

- اذا سمحت ياسيدى .. العربة بالباب .

فقال هولمز : انك عظيم .

ثم اخرج من احد الأدراج قيدا حديديا وقال وهو يجربه:

- لماذا لاتصنعان مثل هذا فانه ينطبق فى لحظة .

فقال ليستريد :

- ان القيد الذى لدينا جيد ولا ينقصه الا الرجل الذى نضعه فى يديه ! !

قال هولمز :

- هذا حسن جدا .. ارجوك ياجنز أن تطلب من الحوذى أن يصعد ليساعدنى فى حزم حقائبى !

ودهشت لحديث صاحبى عن رحلة لم يشر اليها .

أما هولمز فقد انشغل فى حزم احدى الحقائب وفى تلك اللحظة دخل الحوذى فقال له هولمز وهو يحاول ان يقفل الشنطة الممتلئة ودون أن يرفع رأسه :

- ساعدنى فى غلق هذه الشنطة أيها الحوذى ! ومد الرجل يديه ليساعد هولمز ..

وفى تلك اللحظة سمعنا صوت انطباق القيد الحديدى بينما وقف هولمز مستعدا ! ! ثم قال وفى عينيه بريق الانتصار :

ايها السادة .. اسمحوا لى ان أقدم لكم السيد جفرسون هوب قاتل اينوك دربر وجوزيف ستانجرسن !

حدث كل هذا بسرعة خاطفة حتى انى لم استطع ملاحقته . أما الآن فاننى أذكر تلك اللحظات جيدا وأذكر صوت هولمز الممتلىء بنشوة النصر ، ووجه الحوذى وقد هاج عندما رأى القيد فى يديه وكأنه عمل ساحر .. ووقفنا لحظات لا نستطيع الكلام . فاذا بالرجل يفلت من قبضة هولمز ويقذف بنفسه الى النافذة .. وسمعنا صوت الخشب والزجاج يتحطم ولكن قبل أن يستطيع الفرار ، أدركه الشرطيان وأمسكا به وأعاداه الى وسط الغرفة وقامت بيننا وبينه معركة عنيفة ، وقد كان من الشراسة والقوة بحيث كان يدفعنا عنه المرة بعد الأخرى وكأنما أصابته نوبة من الجنون !

وسال دمه لكثرة الجروح التى أصيب بها بارتطامه بزجاج النافذة ومع ذلك لم يفقد من قوته شيئا .

وأخيرا استطاع جرجسون أن يطبق على عنقه حتى كاد يخنقه وعندئذ أدرك عدم جدوى المقاومة فاستسلم . ولكننا لم نشعر بالاطمئنان الا بعد أن أوثقنا رجليه أيضا .

وارتمى كل منا فى مقعده يلهث .

وقال شرلوك هولمز :

ـ ان عربته بالباب وسوف تنفعنا فى نقله الى قسم الشرطة اما الآن أيها السادة ٠٠ ومرتكب هذه الجرائم المكشوفة مصفد بالأغلال بين يديكم ٠ فاننى أرحب بأية أسئلة توجهونها الى ٠ ولن أرفض الاجابة على أى منها !

(تمت)

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/١٧٧٧

دار الشباب للطباعة

١٥ شارع العباسية - القاهرة

تليفون ٩٢٩٧٢٠٠

روايات الجيب

المجلة القصصية الفريدة

التى تقدم إلى قرائها افضل

ما انتجته روائع القصص

العالمية والمغامرات

مجلة روايات الجيب : الثمن [redacted]

رئيس التحرير : عمر عبدالعزيز أمين